تفسير

رسالة بولس الرسول

إلى أهل أفسس

للقديس يوحنا "ذهبي الفم"

تعريب

القمص مرقس داود

كنيسة مارمرقس بشبرا
جمعية اصدقاء الكتاب المقدس
القبطية الارثوذكسية

تفسير

رسالة افسس

للقديس يوحنا ذهبي الفم

تعريب
القمص مرقس داود

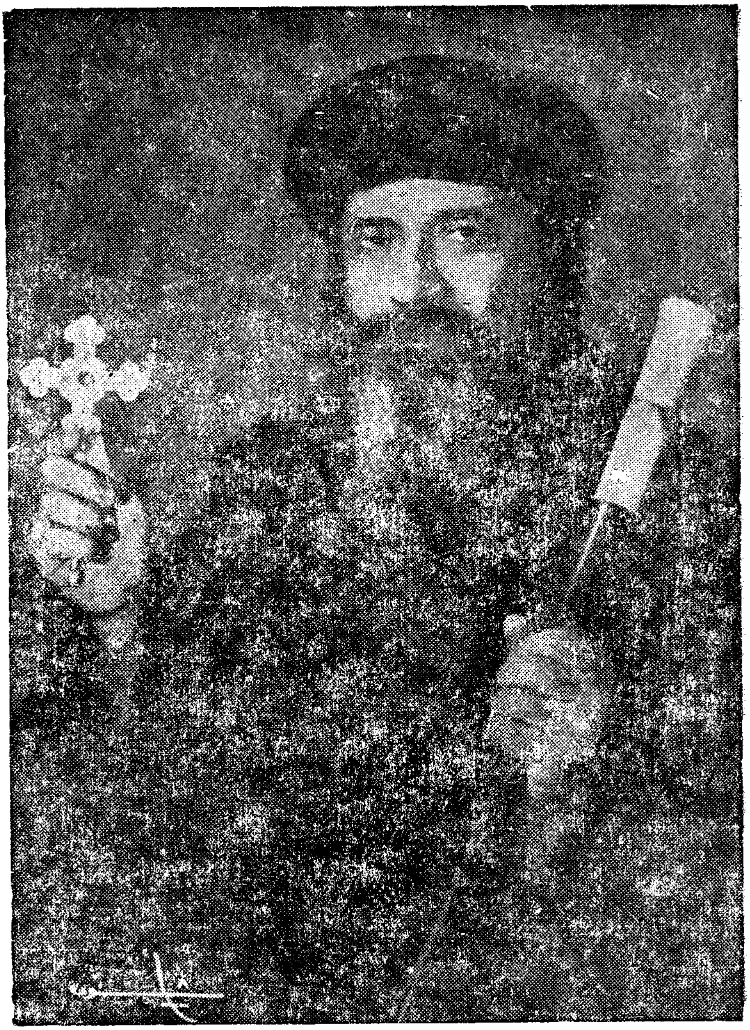

صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم
الأنبا شنودة الثالث

مقدمة لجنة النشر

أصدرت اللجنة فى الأعوام القليلة الماضية أربعة أجزاء من تأملات هادئة لسفر التكوين لجناب القمص مرقس داود وجمعتها أخيرا فى مجلد واحد سرعان ما نفذ ، ووضعت اللجنة فى حسابها أن تصدر فى كل عام أكثر من كتاب فى التفسير والتأمل فى الكتاب المقدس ، وبين يديك أيها القارىء العزيز تفسير لرسالة بولس الرسول الى أهل أفسس (ليوحنا ذهبى الفم) عربه القمص مرقس داود — القديس يوحنا ذهبى الفم غنى عن التعريف لأنه من آباء الكنيسة — ومن أجل هذا جمعت له الكنيسة عظاته وسجلتها فى كتب البيعة باسم العظات الذهبية لجمال أسلوبه ، وما أحب كتابات الآباء اذ تنقل الينا فى هذا العصر بأسلوب مفهوم ، أسلوب عالم من علماء الكتاب فى هذا العصر ألا وهو القمص مرقس داود الغنى عن التعريف . وقد سبق للجنة أن قدمت عدة كتب منقوله عن آباء الكنيسة منها حياة القديس الأنبا أنطونيوس ، الرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولى ، الروح القدس للقديس امبروسيوس والصلاة للعلامة أوريجانوس . ونرجو أن يكون هذا الكتاب فاتحة كتب تفسير منقولة عن آباء الكنيسة فى العصور الأولى ونحن فى انتظار أى جهد مبذول فى هذا الميدان اذ نحتاج الى مزيد من الجهد من أحبائنا محبى الترجمة لنقل هذا التراث الى هذه الأجيال التى تفتقر اليه . خصوصا أننا نحتاج ككنيسة قبطية أرثوذكسية أن يتجمع لدينا تفسير كامل للكتاب المقدس حتى يمكن الرجوع اليه والاعتماد عليه . راجين أن تذكر أيها القارىء العزيز عمل اللجنة فى صلاتك ؟

اللجنة

مقدمة المعرب

ولد يوحنا ذهبى الفم فى أنطاكية سنة ٣٤٧ م من أب وثنى أعتنق المسيحية فيما بعد بفضل تأثير زوجته عليه وسيرتها الصالحة • أما أمه أنثوسا (Anthusa) فكانت مسيحية تقية ، ولذا عكفت على تربية ابنها تربية مسيحية ، واشبعت روحه بتعاليم الكتاب المقدس ، وثقفت عقله بالعلوم العصرية كالفلسفة والمنطق الخ •

توفى أبوه وكان لا يزال طفلا • وعلى الرغم من أن أمه كانت فى ريعان الشباب ، لا يتجاوز عمرها العشرين عاما ، فقد رفضت الزواج مرة أخرى لكى تتفرغ لتربية ابنها وخدمته •

كان ليوحنا صديق يدعى باسيليوس له نفس استعداداته • فعزما على الخروج الى البرارى • لكن أمه توسلت اليه أن لا يعمل على ترملها مرة أخرى ، بل لينتظر حتى تغادر العالم • فخضع لها اشفاقا عليها ، واحتراما لتوسلها ، سيما وكان قد تعود منذ الطفولة أن يطيعها طاعة كاملة •

ولما توفيت أمه ترك أنطاكية ، وقصد ديرا قريبا • فبقى فيه أربع سنوات • وهناك تعمق فى درس الكتاب المقدس حتى قيل انه حفظه • ولزيادة تقشفه اعتلت صحته ، فرجع الى أنطاكية سنة ٣٨١ ، ورسم شماسا فى نفس السنة ، ثم قسآ سنة ٣٨٦ •

ومن ذلك الوقت شرع يعظ بفصاحة نادرة ، وحجج قوية شديدة ، حتى كان كلامه ينفذ الى القلوب ، كما كان يتدفق من فمه كالجواهر ، لذلك سمى ذهبى الفم •

وقد أشتهر بجرأة نادرة فى تبكيت الخطاة مهما سمت مراكزهم ، الأمر الذى سبب له متاعب كثيرة ، سيما وكانت الرذائل قد ازدادت انتشارا فى القسطنطينية وقتئذ ، شانها شأن سائر المدن الكبيرة •

ولما خلا كرسى بطريركية القسطنطينية سنة ٣٨٧ أنتخب له ذهبى الفم ، بينما كان لا يزال مقيما فى أنطاكية • ولما استدعى لاستلام مركزه الجديد رفض الذهاب • لكن الشعب استخدم حيلة فذهب • وحينئذ قوبل بترحيب شديد جدا من كل الشعب ومن الامبراطور والامبراطورة •

لكن الامبراطورة بدأت تبغضه بعد ذلك لأنه كان شـديد التوبيخ للنساء بسبب ملابسهن الخليعة ، ولأسباب شخصية أخرى • فاستصدرت أمرا بنفيـه ، ونفى • وفى نفس اليـوم حدثت زلزلة عنيفـة فانزعج الامبراطور ، وانزعجت معه الامبراطورة ، واعتبراها علامة على غضب الله على فعلتهما • فاعيد فى الحال الى كرسيه • وكان فرح عظيم جدا عند كل الشعب برجوعه •

لم يمض سوى شهرين حتى غضبت عليه الامبراطورة مرة أخرى ، لأنها كانت قد طلبت من الأمبراطور اقامة تمثال لها فى عاصمة كل ولاية تابعة للأمبراطورية • أما فى القسطنطينية فاقيم التمثال من الفضة الخالصة ، ورفع على قاعدة من المرمر ، ووضع فى الفناء المواجة لكنيسة اجيا صوفيا

وفى يوم الاحتفال بازاحة الستار عن التمثال تخلل الاحتفال كثير من الرقص وأنواع الخلاعة المختلفة • فنـدد يوحنـا بهذا كله بغيرة نارية • فاستاءت الأمبراطورة جدا • وازداد غضبها عندما وشى اليها الوشاة بانه قال وهو يعظ فى عيد يوحنا المعمدان انه قد ظهرت هيروديا أخرى ، وطلبت راس يوحنا • فاستصدرت أمرا بنفيه ، وكان ذلك فى ١٥ يونيه سـنة ٤٠٤ م • وقاسى فى الطريق الى المنفى آلاما شديدة جدا بسبب معـاملة الجنود له معـاملة وحشية أدت الى موته فى ٤ سبتمبر سنة ٤٠٧ ، وكان عمره وقتئذ ستين سنة • وكانت آخر أقواله هى الكلمات المحبـوبة التى كان يرددها دواما : « المجد لله فى كل شىء » •

وبعد ٣١ سنة من موته نقلت عظـامه الى القسطنطينية ، فقوبلت بحفاوة بالغة ، وأمر الأمبراطور ثيودوسيوس الصغير بدفنها بكل اجـلال بين مدافن بطاركة القسطنطينية الاولين وملوكها السابقين •

مؤلفات ذهبى الفم

كان ذهـبى الفم ــ ولا زال ــ أعظم كاتب فى الكنيسة اليـونانية الأرثوذكسية • وقد كتب مئات الكتب حتى قيل انه كتب تفسيرا للكتاب المقدس كله • واليك البعض مما وصل الينا :

تفسير انجيل متى ــ وانجيل يوحنا ــ واعمال الرسل ــ وجميع رسائل بولس الرسول بما فى ذلك رسالة العبرانيين التى آكد بان بولس الرسول هو الذى كتبها ــ سفر التكوين ــ المزامير ــ الاصحاحات الثمانية الأولى من نبوة اشعيا •

وكتب أيضا عن أعياد الكنيسة ـ وتمجيدا للرسل والشهداء ـ عظات عن الشهداء واليهود والمسيحيين المتهودين ـ والاريوسيين ـ وكتب أيضا ٢١ عظة من أشهر عظاته شجب فيها عبادة التماثيل ، وقدم فيها نصائح روحية كثيرة ٠

يضاف الى هذا كله أنه كتب كتابه المشهور عن الكهنوت ، وهو يحوى ستة كتب ، تحدث فيها عن واجبات الكهنة ، وكيفية اختيارهم ، ومسئولياتهم ، وشرف خدمة الكهنوت ، وسلطانها العظيم الخ الخ ٠

والرب الذى عمل فى ذهبى الفم لا يزال قادرا أن يقيم الكثيرين من أمثاله ، وأعظم منه ، سيما فى هذه الأيام التى ارتفع فيها تيار الشر والنجاسة ، ونشط فيها شيطان الانقسامات المخربة ـ هذه الأمور التى أضعفت رسالة الكنيسة ؟

القمص مرقس داود

١١ سبتمبر سنة ١٩٧٦
أول توت سنة ١٦٩٣

مقدمة

أفسس هى عاصمة أسيا . وقد كانت مكرسة للالهة ديانا (١) التى عبدوها هناك على أساس أنها هى الهتهم العظيمة . ولقد اشتدت خرافة عابديها لدرجة أنهم عندما أحرق هيكلها لم يريدوا اعلان اسم الشخص الذى أحرقه .

فى هذه المدينة قضى يوحنا الانجيلى أغلب وقته . فقد كان هناك عندما نفى (٢) ، وهناك مات . وهناك أيضا ترك بولس الرسول تيموثاوس ، كما قال عندما كتب اليه : « كما طلبت اليك أن تمكث فى أفسس » (١ تى ١ : ٣) .

هناك أيضا كان يوجد أغلب الفلاسفة ، سيما الذين ازدهروا فى أسيا . وقيل انه حتى فيثاغورس نفسه أتى من هناك ، وربما لأن « ساموس » التى أتى منها كانت جزيرة تابعة ليونيا (٣) (Ionia) . وكانت أيضا ملجأ لتلاميذ بارميندس (Parmenides) ، وزينو (Zeno) ، وديموكريتس (Democritus) . ونستطيع أن نرى عددا من الفلاسفة هناك الى اليوم .

هذه الحقائق أذكرها ، لا لمجرد ذكرها ، بل لكى أبين أن بولس الرسول لا بد أن يكون قد كابد الكثير من المشقة عندما كتب لأهل أفسس هؤلاء فقد قيل حقا انه استودعهم أعمق آرائه على أساس أنهم متعلمون جدا .

---

(١) الهة القمر عند الرومان ، وكانت تمثل العفة والصيد ، ودعيت فيما بعد ارطاميس التى عبدها أهل أفسس (أع ١٩ : ٢٤ — ٢٨) .

(٢) المرجح أن نيرون هو الذى أمر بنفيه الى جزيرة بطمس ، وأنه كتب سفر الرؤيا بعد موت نيرون مباشرة حوالى سنة ٦٨ م . ثم عاد الى أفسس ومات بها بعد سنة ٩٨ م .

(٣) احدى مقاطعات اليونان ، وكانت تقع فيها أفسس .

أما الرسالة نفسها فانها مليئة بالاراء السامية والتعاليم الرفيعة (٤)

لقد كتب الرسالة من روما اذ كان هو نفسه « فى سلاسل » على حد تعبيره : « مصلين لاجلى لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلم جهارا بسر الانجيل • الذى لاجله أنا سفير فى سلاسل » (اف ٦ : ١٩ و ٢٠) • وفيها الكثير من العواطف السامية فى العظمة • وقد عبر عن هذه العواطف بكلمات يندر أن يكون قد استعملها فى مكان آخر ، كما قال مثلا : « لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة » (اف ٣ : ١٠) •

وأيضا : « وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات » (أف ٢ : ٦)

وأيضا : « الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح » (أف ٣ : ٥ و ٦) •

---

(٤) قال أحد المفسرين (Alford) عنها : « انها أعظم وأهم رسالة سماوية كتبها شخص متصل بالسماويات » • وقال آخر (Grotius) : « ان آراءها السامية تعبر عنها كلمات أسمى من أية لغة بشرية » • وقال عنها آخر (Coleridge) : « انها أسمى ما يمكن أن يكتبه انسان عن الالهيات » •

العظة الأولى

(ص ١ : ١ ـ ١٠)

« بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله الى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يســـوع • نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » (ص ١ : ١ و ٢)

سؤال ؟ لاحظ أنه قال « **بمشيئة الله** » • هل هذا يعنى أن يسوع المسيح أقل من الآب ؟ كلا •

وقال أيضا « **الى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المســيح يسوع** » • لاحظ انه أطلق كلمة « القديسين » على رجال لهم زوجات وأولاد وخدم • ومما ورد فى ختام الرسالة يتضح أن هؤلاء دعاهم قديسين ، اذ قال : « أيتها النساء (١) اخضعن لرجالكن » (أف ٥ : ٢٢) ، وأيضـــا : « أيها الأولاد (٢) أطيعوا والديكم » (أف ٦ : ١) ، وأيضا « أيها العبيد (٣) أطيعوا سادتكم » (أف ٦ : ٥) • انظر مقدار شدة البلادة المستحوذة علينا الآن ، ومقدار عظمة الفضيلة التى تحلى بها الرجال وقتئذ اذ قيل حتى عن العلمانيين انهم « قديسون ومؤمنون (٤) »

« **نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح** » • النعمة هى كلمته ، وقد دعا الله « أبينا » لأن هذه التسمية هى العلامة الأكيدة لعطية النعمة • ثم اسمع ما قاله فى موضع آخر : ثم بما انكم أبناء أرسل الله روح أبنه الى قلوبنا صارخا يا أبا الآب » (غل ٤ : ٦) •

« **ومن الرب يسوع المسيح** » لأنه من أجلنا نحن البشر ولد المسيح ، وظهر فى الجسد •

ع ٣. وقال : « **مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح (٥)** » • لاحظ انه هو اله المسيح الذى تجسد • هو أبو الله الكلمة •

---

(١) « أيتها الزوجات » كما ورد فى الترجمة الانكليزية •

(٢) « أيها البنون » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية •

(٣) « أيها الخدم » حسب الترجمة الانكليزية •

(٤) « أمناء » حسب الترجمة الانكليزية •

(٥) « مبارك اله وأبو ربنا يسوع المسيح » كمـــا جاء فى ترجمة ذهبى الفم •

ع ٣. « **الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح** » ٠
هنا يشير الى بركات اليهود ٠ فتلك كانت بركة أيضا ، لكنها لم تكن بركة روحية ٠ وكيف كان الأمر ؟ « يبـــاركك ويبارك ثمرة بطنك (٦) » (تث ٧ : ١٣) ، « ويباركك فى خروجك ويباركك فى دخولك » (تث ٢٨ : ٦)٠ لكن ليس هكذا الحال هنا ٠ وكيف ؟ « بكل بركة روحية » ٠ وماذا يعوزك بعد ؟ لقد صرت خالدا (غير قابل للموت) ، وتحررت ، وصرت ابنـــا ، وتبررت ، وصرت أخا ، وشريكا فى الميراث ، وصرت تملك مع المســيح ، وتمجدت مع المسيح ٠ كل شىء وهب لك مجانا ٠

وقال « كيف لا يهبنا أيضا معه كل شىء » (رو ٨ : ٣٢) ٠ باكورات ثمارك باركها الملائكة ، والشاروبيم والسارافيم ٠ وماذا يعوزك بعد ؟ « بكل بركة روحية » ٠ لا شىء جسدى هنا ٠ وبناء على هذا اســتبعد البركات السابقة عندما قال « فى العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ : ٣٣) ، لكى يرشدنا الى هذه ٠ لأنه كما ان من نالوا الجسديات لا يقدرون أن يسمعوا عن الروحيات ، هكذا من يهدفون الى الروحيات لا يقدرون أن ينالوها الا اذا ابتعدوا عن الجسديات ٠

ثم أيضا : ما هى البركة الروحية فى السماويات ؟ هو يعنى أنهـــا ليست على الأرض كمـــا كان الحـــال مع اليهود ٠ « تأكلون خير الأرض » (اش ١ : ١٩) ٠ « الى أرض تفيض لبنـــا وعسلا » (خر ٣ : ٨) ٠ « يبارك الرب أرضك » (تث ٧ : ١٣) ٠ هنـــا لا نرى شــيئا من هذا القبيل ٠ وماذا نرى ؟ « ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى أنا وأبى ، وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢٣) ٠ « فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشــــبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ٠ فنزل المطر ، وجاءت الانهـــار ، وهبت الرياح ، ووقعت على ذلك البيت ، فـــلم يسقط ، لأنه كان مؤسسا على الصخر » (مت ٧ : ٢٤ و ٢٥) ٠

وما هو هذا الصخر الا تلك السماويات البعيدة عن كل تغيير ؟ وقال المسيح : « فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضـــا به قدام ابى الذى فى السماوات ٠ وكل من ينكرنى أنكره أنا أيضا » (مت ١٠ : ٣٢ و ٣٣) ٠وأيضا : « طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) ٠ وأيضا « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات » (مت ٥ : ٣)٠ وأيضا : « طوبى لكم أيها المضطهدون من أجل البر ، لان أجركم عظيم فى السماوات » (مت ٥ : ١١ و ١٢) ٠

---

(٦) « ثمرة أحشائك » حسب ترجمة اليسوعيين ، « ثمرة جسدك » حسب ترجمة ذهبى الفم ٠

لاحظ كيف يتحدث فى كل موضع عن السماء ، لا عن الأرض ، ولا عن الأرضيات • وأيضا : « فان وطننا (٧) نحن هو فى السماء التى منها أيضا ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح » (فى ٣ : ٢٠) • وأيضا : « اهتموا بما فوق لا بما على الأرض » (كو ٣ : ٢) •

« فى المسيح »

أى ان هذه البركة لم تكن بيد موسى ، بل بالمسيح يسوع • ولذلك فاننا نتفوق عليهم ليس فقط فى نوع البركات ، بل فى الوسيط أيضا ، كما يقول أيضا فى رسالة العبرانيين « وموسى كان أمينا فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به ، وأما المسيح فكان على بيته ، وبيته نحن » (عب ٣ : ٥ و ٦) •

ع ٤ وبعد ذلك يقول : « **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة** » •

وهو يعنى هذا : انه به باركنا ، وبه اختارنا أيضا • وهو الذى سوف يعطينا كل جزائنا فيما بعد • هو نفس الديان الذى سوف يقول : « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٤) • وأيضا : « أريد أن هؤلاء يكونون معى حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) • وهذه نقطة أراد أن يقيم البرهان عليها فى كل رسائله تقريبا • ولذلك فان فكرنا ليس أمرا مستحدثا ، بل هو مقرر منذ البدء ، وهو ليس نتيجة أى تغيير فى قصده ، بل هو فى الواقع تدبير الهى سبق أن عينه • وهذه تعزية كبيرة لنا •

وما هو معنى انه « اختارنا فيه ؟ » يعنى أنه بالايمان الذى هو فيه ، أى فى المسيح ، دبر هذا لنا قبل أن نولد ، والأكثر من هذا : قبل تأسيس العالم • وما أجمل هذه الكلمة « تأسيس » ، كأنه يشير الى العالم على أساس أنه ساقط من ارتفاع شاهق • نعم ، ان سمو الله شاهق جدا بكيفية تفوق الوصف ، وسموه بعيد جدا ، لا بالنسبة لمكانه ، بل باعتبار أنه أمر أبعد مما نقدر أن نتحدث عنه • وما أوسع المسافة بين الخالق والخليقة • وهذه كلمة يخجل الهراطقة أن يسمعوها •

ولماذا اختارنا ؟ « لنكون قديسين وبلا لوم قدامه » • لكى لا تتوهموا عندما تسمعون أنه « اختارنا » بان الايمان وحده يكفى • ولذلك أضاف

---

(٧) « سيرتنا » حسب ترجمة بيروت •

الى الكلام : الحياة والسلوك • فقال انه اختارنا لهذه الغـاية وبهذا الشرط « أن نكون قديسين وبلا لوم » •

وبهذه الكيفية سبق أن اختار اليهود • تحت أى شروط ؟ « لقد اختار هذا الشعب فوق جميع الشعوب » (تث ١٤ : ٢) • وان كان البشر فى اختيارهم يختارون الأفضل ، فبالأولى جدا يفعل الله هكذا • والواقع ان اختيار الله لهم علامة على محبته لهم ، وعلى صلاحهم الادبى • لأنه بالتأكيد لم يكن ممكنا أن يختار الا المزكى • هو نفسه قد جعلنا أطهارا (قديسين) ، ونحن ينبغى أن نظل قديسين • الرجل الطاهر (القديس) هو الشريك فى الايمان ، والذى بلا لوم هو من يعيش حياة لا غبار عليها

وهو لا يتطلب مجرد القداسة والخلو من اللوم ، بل يتطلب أن نظهر « أمامه » هكذا • فهنالك اشخاص قديسون وبلا لوم ، لكن هذا فقط فى حكم الناس ، مع أنهم يشبهون القبور المبيضة ، ويلبسون ثياب الحملان • ليس هـــذا هو ما يطلبه الله ، بل كما يقـــول النبى : « كطهارة يدى » (مز ١٨ : ٢٤) • وأية طهارة ؟ هى التى تكون « أمام عينيه » • انه يتطلب القداسة التى تتطلع اليها عين الله •

واذ تحدث عن أعمال هؤلاء الصالحة عاد الى نعمته ، فقال « فى المحبة » لأنه « سبق فعيننا » • وهذا لا يتم بأى مجهود من قبلنا ، ولا باعمالنـــا الصالحة ، بل « فى المحبة » • ولكن ليس بالمحبـة فقط ، بل بفضـــيلتنا أيضا • لأنه ان كان بالمحبة فقط لنتج عن هذا أن الجميع يجب أن يخلصوا • ومن الناحية الأخرى ان كان بفضيلتنا فقط لما كان هنالك مبرر لمجيئة الى العالم ، ولا كان هنالك مبرر لتدبير الخلاص كله • ولذلك فانه يتم ليس نتيجة لمحبته فقط ، ولا لفضيلتنا فقط ، بل لكليهما •

لذلك قال الرسول انه اختارنا • والذى يختار يعرف ما الذى يختاره • ثم أضاف قائلا « فى المحبة اذ أنه سبق فعيننا » • لأن الفضيلة لن تخلص أحدا بدون المحبة • لأنه لو لم يكن الله قد دعا بولس منذ البدء ، وبهذا أحبه ، وجذبه لنفسه فماذا كان (بولس) قد انتفع ، وكيف كان يمكنه أن يظهر ما أظهره ؟

وعلاوة على هذا فانه منحنا هذه الامتيازات العظيمة • لم يكن ذلك بتأثير فضيلتنا ، بل بتأثير محبته • لأننا ان كنا قد حصـــلنا على الفضـــيلة ، والايمان ، والاقتراب اليه ، فقد كان هذا بفعل من دعانا لنفسه ، ومع ذلك كان بفعلنا نحن أيضا • وان كان ، بعد أن اقتربنا اليه ، قد منحنا مثـــل

هذه الامتيازات السامية ، ونقلنا فى الحال من حالة العـــداوة واتخذنا له بنين ، فهذا فى الواقع هو عمل المحبة الفائقة جدا •

ع ٤و٥ . وقال : « **فى المحبة ، اذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه** » •

ألا تلاحظ أنه لم يتم شيء بدون المسيح ؟ ولا بدون الآب ؟ فالآب سبق فعين ، والمسيح قربنا اليه • وقد أضاف هذه الكلمات لكى يرفع من قــدر الأشياء التى تمت ، بنفس الطريقة التى استخدمها عندما قال : « وليس ذلك فقط ، بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح » (رو ٥ : ١١) • لأن البركات التى منحت عظيمة جدا فعلا ، لكنها صارت أعظم اذ منحت بالمسيح ، فانه لم يرسل أى خادم حتى للخدم ، لكنه ارسل ابنه الوحيد نفسه •

ع ٥. ثم أكمل كلامه قائلا : « **حسب مسرة مشيئته** » •

أى لأنه أراد بشدة ، أى مشيئته الملتهبة ، كما يقولون • لأن عبــارة « مسرة مشيئته » تعنى فى كل موضع آخر « مشيئته السابقة » ، لأن هنالك مشيئة أخرى أيضا • فمثلا : ان المشـــيئة الأولى هى أن لا يهلك أحـــد ، والمشيئة الثانية هى انه ان صار النــاس أشرارا هلكوا • فيقينا انه ليس ضروريا أن يقتص منهم ، لكن القصاص اذا حل فيكون ذلك لأنه شـــاء • ولعلك ترى شيئا من هذا القبيل ، حتى فى كلمات بولس ، حيث يقــول : « لانى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا » (١ كو ٧ : ٧) ، وأيضا : « فأريد أن (الأرامل) الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد » (١ تى ٥ : ١٤) •

فيكون المقصود اذن بهذه العبارة « مسرة مشيئته » المشيئة الأولى ، المشيئة الحارة ، المشيئة المقترنة برغبة ملتهبة ، كما هو الحال معنا ، لاننى لا أرفض استخدام التعبيرات الشائعة لكى أتكلم بوضوح للبسطاء • فنحن أنفسنا لكى نعبر عن عزم المشيئة نقول اننا نعمل وفق عزيمتنا •

اذن فيكون الرسول قد قصد أن يقول ان الله يهدف الى خلاصـــنا ، ويريده بشدة • فلماذا اذن يحبنا بهذا المقدار ، ويعطف علينا هذا العطف ؟ هذا ناشيء عن صلاحه فقط ، لأن النعمة نفسها ثمرة الصلاح • ولهذا السبب قال انه « سبق فعيننا للتبنى » • فقد شاء ، وكانت رغبته الملتهبة أن يتبين مجد نعمته •

ع ٦. وبعد أن قال : « حسب مسرة مشيئته » أكمل حديثه قائلا : « **لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب** »

وهكذا يقول : لكى يتبين مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب •

اذن فان كان قد بين لنا نعمة لمدح مجد نعمته ، ولكى يعلن نعمته ، فلنتمسك بهذا .

« لمدح مجده » . ما هذا ؟ ومن هم الذين يمدحونه ؟ ومن هم الذين يمجدونه ؟ حتى نحن الملائكة ، ورؤساء الملائكة ، أو كل الخليقة ؟ وما هو هذا ؟ لا شيء . فالطبيعة الالهية لا يعوزها شيء . اذن فهل يريدنا أن نحمده ونمجده ؟ ذلك لكى تزدا محبتنا له اشتعالا فى داخلنا . هو لا يريدنا أن نقدم اليه أى شيء . ولا يطلب خدمتنا ، أو مدحنا ، أو أى شيء . لا يريد الا خلاصنا . هذا هو الهدف فى كل ما يعمل . ومن يحمد النعمة التى أظهرها ، ويعجب بها ، فانه يزداد تقوى ويزداد غيرة .

« التى أنعم بها علينا » . لم يقل « التى تعطف بها علينا » ، بل « التى بها أظهر لنا نعمة » . أى انه لم يكتف بان يحررنا من خطايانا ، بل أهلنا لمحبته . كأن انسانا أخذ شخصا أبرص ، شوهه المرض ، والشيخوخة ، والفقر ، والجوع ، وحوله فجأة الى شاب وسيم الطلعة ، يفوق كل البشر فى الجمال ، توردت وجنتاه ، يشع النور من عينيه . وبعد ذلك أعاد اليه شبابه ، وألبسه الارجوان ، وتوج رأسه باكليل ، وزينه بكل المظاهر الملكية .

هكذا مجد الله نفسنا وزينها ، وألبسها الجمال ، وجعلها موضوع مسرته ومحبته . مثل هذه النفس تشتهى الملائكة النظر اليها ، بل ورؤساء الملائكة ، وكل القديسين . لقد سكب علينا هذه النعمة ، وجعلنا أعزاء جدا عنده . قال المرنم : « يشتهى الملك جمالك » (مز ٤٥ : ١١) .

تأمل فى مقدار الكلمات المؤذية التى نطقنا بها الى الآن ، وفى الكلمات الكريمة التى نطقنا بها الآن . لم تعد الثروة تفتن عقولنا ، ولا أى شيء أرضى ، بل الأشياء التى فى السماوات فقط . عندما يتمتع الطفل بجمال خارجى ، وتكون هنالك نعمة فى كل ما يقول ، ألا ندعوه طفلا جميلا ؟

هذا هو الحال مع المؤمنين . تأمل فى الكلمات التى ينطق بها الموهوبون . هل يمكن أن يكون هنالك أجمل من الفم الذى ينطق بتلك الكلمات الرائعة ، بقلب طاهر وشفتين نقيتين ، ويتمتع بثقة كاملة مبهجة ، ويشترك فى مائدة سرية كهذه ؟ هل هنالك أجمل من الكلمات التى بها ننبذ عبادة ابليس ، ونندمج فى عبادة المسيح ؟ والاعتراف قدام جرن المعمودية ، والاعتراف بعد المعمودية ؟ ليتنا نتأمل فى الكثيرين منا الذين دنسوا معموديتنا ، ليتنا نبكى لعلنا نستطيع أن نصحح الموقف .

ع ٦. وقال : « **فى المحبوب الذى فيه لنا فداؤنا بدمه** » ٠

وكيف يكون هذا ؟ ليس العجب فقط فى انه بذل ابنه ، بل الأكثر من هذا أن بذله يمثل تلك الكيفية بحيث يذبح حبيبه ٠

بل والأكثر روعة من هــذا انه بذل حبيبه من أجــل من كانوا مكروهين ٠ انظر مقدار عظمة الثمن الذى دفعه من أجلنا ٠ وان كان قد بذل حبيبه من أجلنا نحن الذين أبغضناه وكنا أعداء ، فما الذى لا يفعله الآن بعد أن اصطلحنا معه بالنعمة ؟

ع ٧. وقال : « **غفران تعدياتنا** » ٠

هنا ينزل ثانية من أعلى الى أسفل ٠ فقد تحدث أولا عن التبنى ، والتقديس ، والخلو من اللوم ، ثم عن الآلام ٠ وفى هــذا لم يتسفل فى حديثه وينزله من الأعلى الى الادنى ، كلا ، بل بالاحرى تسامى به ورفعه من الادنى الى الأعلى ٠ لأنه ليس أعظم من أن يسكب عنا دم ابنه فانه ، اذ بذل ابنه ، كان هذا أسمى من نعمة التبنى ، وكل عطايا النعمة الاخرى ٠ عظيم هو فعلا غفران الخطايا ، والاعظم منه أن يتم بســفك دم الرب ٠ هذا هو أعظم الكل ٠ انظر كيف صاح ثانية هنا قائلا :

ع ٧و٨ : « **حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا** »

العطايا السابقة غنية ، أما هذه فانها أغنى جدا ٠ فقــد قال أنه « أجزلها لنا » ٠ فهى غنى ، وهى جزيلة ، أى انسكبت علينا بمقيــاس يفوق الوصــف ٠ ليس من الممكن أن نعبر بكلمــات عن البركات التى اختبرناها فعلا ٠ فهى فعلا غنى ، وغنى جزيل ، وقد أعطاها لنا بغنى ، ليس من انسان ، بل من الله ٠ ولذلك فانه من المســتحيل ـ بأى حال ـ التعبير عنها ٠ ولكى يبين لنا كيف انه أجزلها لنا بوفرة ، أضاف قائلا :

ع ٨و٩ : « **بكل حكمة وفطنة اذ عرفنا بسر مشيئته** »

أى انه منحنا حكمة وفطنة فى كل ما هو حكيم حقا ، وفطن حقا ٠ يا له من أمر عجيب ٠ يا لهذه الصداقة ٠ لأنه حدثنــا عن أسراره ، سر مشيئته ، كأن انسانا ما قال انه عرفنا بالاشياء التى كانت فى قلبه ٠ هنا حقا السر المملوء من كل حكمة وفطنة ٠ وهل يمكنك ان تجـد مثيلا لهذه الحكمة ؟ والذين كانوا لا يســاوون شيئا رفعهم الى مركز الغنى والثراء ٠ هل هناك مثيل لهذا التدبير الحكيم ؟ فذاك الذى كان عدوا ،

ومنبوذا ، رفع الى فوق فى لحظة · وليس ذلك فقط ، بل الأكثر أن هذا تم فى هذا الوقت بالذات · كان هذا هو عمل الحكمة ، وتم بواسطة الصليب · لقد أطلنا الحديث لنبين كيف أن كل هذا كان هو عمل الحكمة ، وكيف أن الله جعلنا حكماء · ولهذا كرر الكلمات :

« حسب مسرته التى قصدها فى نفسه » ·

أى انه أراد هذا ، وبذل الجهد فى هذا ، لكى يستطيع – بلغة البشر – أن يعلن لنا السر · وما هو هذا السر ؟ هو أن يجلس الانسان فى الأعالى · وهذا ما قد تم فعلا ·

ع ١٠ : « **لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء فى المسيح ، ما فى السماوات ، وما على الأرض ، فيه** »

لقد قصد أن يقول ان الأرضيات خدمت السماويات · لم يبق لهم بعد رأس واحد · الى ذلك الوقت كان هنالك اله واحد فوق الجميع · لكن الحال تغير بعد انحراف عالم الأمم الفسيح ، فانفصلوا عن طاعته ·

وقال : « لتدبير ملء الأزمنة » ·

لقد دعاها « ملء الأزمنة » · لاحظ رقة كلامه · لقد أشار الى أصل الأشياء ، وهدف الله ، ومشيئته ، وقصده الأول ، على أساس انها صادرة من الآب ، وتحدث عن الاتمام والتنفيذ بمعرفة الابن ، لكنه لم يذكر عنه فى أى موضع أنه خادم (٨) ·

وقال : « واختارنا فيه اذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه » ، « لمدح مجد نعمته الذى فيه لنا الفداء بدمه ··· التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء فى المسيح » · ولم يذكر عنه فى أى موضع أنه خادم ·

وان كان التعبير « فى المسيح » أو « بيسوع المسيح » يتضمن أن المسيح مجرد خادم ، فانظر ماذا تكون النتيجة · لقد استخدم الرسول فى بداية الرسالة « بمشيئة الآب » · يعنى أن الآب أراد ، والابن عمل · لكن لا يمكن قط أن يستنتج أنه ان كان الاب قد أراد فالابن لم يرد · ولا يمكن أيضا الأستنتاج بانه ان كان الابن قد عمل فالآب لم يعمل · فكل ما للآب للابن ، وما للابن للآب · لأنه قال : « كل ما هو لى فهو لك ، وما هو لك فهو لى » (يو ١٧ : ١٠) ·

---

(٨) أنظر (عب ١ : ١٤) ·

وملء الأزمنة يعنى مجىء المسيح ، فبعد أن أتم كل شىء بواسطة خدمة الملائكة والأنبياء والناموس ، وعمل الانسان كل ما هو لهلاكه ، وهلك الكل هلاكا أشنع مما حدث فى الطوفان ، دبر هذا التدبير ، أى بالنعمة ، لكى يتبين أن الانسان لم يخلق عبثا • وهذا ما سماه « ملء الأزمنة » ، وسماه « حكمة » • ولماذا هذا ؟ لأنهم فى ذلك الوقت نجوا ، لما كانوا على حافة الهلاك •

وقال : « ليجمع » • وما هو معنى هذه الكلمة ؟ المعنى هو « ليجمع معا » أو « ليربط معا » • ولنحاول الوصول الى المعنى الحقيقى • الكلمة تعنى فى أحاديثنا العادية تلخيص ، فى كلمات وجيزة ، ما سبق أن قيل باسهاب • وهذا هو معناها هنا تماما • لأن المسيح جمع فى نفسه العهود التى استغرقت فترة طويلة ، أى لخصها • « لأنه متمم كلمته وملخصها بالبر (٩) » (رو ٩ : ٢٨) • لقد فهم العهود السابقة ، وأضاف اليها بضعة اضافات • هذا هو معنى « يجمع » •

ولها أيضا معنى آخر • وما هو ؟ انه أقام فوق الجميع رأسا واحدا ، أى المسيح حسب الجسد ، فوق الملائكة والبشر • أى انه أعطى الملائكة والبشر ادارة واحدة ، أو سلطة واحدة ، وأعطى للملائكة « الله المتجسد » ، وأعطى للبشر « الله الكلمة » • كما يقول أحدهم عن بيت تهدم جزء منه والآخر سليم انه أعاد بناءه ، أى شدده ، ووضع له أساسا أقوى • هكذا الحال هنا فانه جعل الكل تحت رأس واحد • وهكذا يتم الاتحاد ، ويربط الكل برباط متين ، اذا ما جمع الكل تحت رأس واحد ، وهكذا يتم رباط الاتحاد من فوق •

واذ شرفنا الله بهذه البركة العظمى ، وهذا الأمتياز السامى ، وهذه المحبة الجليلة ، فينبغى أن لا نخجل المحسن الينا ، ينبغى ان لا نضيع هذه النعمة العظيمة هباء • لنتمثل بحياة الملائكة ، وفضيلة الملائكة ، وسيرة الملائكة • بل اننى أتوسل اليكم وأستحلفكم أن لا تجعلوا هذه الأمور تتحول الى دينونتنا أو الحكم علينا ، بل دعوها تمتعنا بهذه الخيرات ، التى نتوسل الى الله أن يهبها لنا أجمعين ، فى المسيح يسوع ربنا ، الذى يليق له ، مع الآب والروح القدس ، المجد والقوة الخ الخ ••

---

(٩) « لأنه متمم أمر وقاض بالبر » ، حسب ترجمة اليسوعيين ».

العظة الثانية

(ص ١ : ١١ ـ ١٤)

« الذى فيه أيضا صرنا ميراثا معينين سابقا حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب مشورة مشيئته » ع ١١ ٠

كان بولس يحاول ، جديا ، فى كل المناسبات أن يظهر باقصى ما يستطيع من قوة ، محبة الله ، التى لا يعبر عنها ، من نحونا ٠ ولكى ندرك أن هذا كان مستحيلا أن يفعله بدقة استمع الى كلماته : « يا لعمق غنى حكمة الله وعلمه ، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رو ١١ : ٣٣) ٠ ورغم هذا فقد استطاع أن يظهرها على قدر الامكان ٠ اذن فما هو هذا الذى قاله : « الذى فيه أيضا صرنا ميراثا معينين سابقا ؟ » فى الآيات السابقة استخدم هذه الكلمة : « اختارنا » ، وهنا يقول « صرنا ميراثا » ٠ لكن لأن القرعة (١) مسألة حظ ، لا مسألة اختيار مقترن بتدقيق ، ولا مسألة فضيلة (لأن القرعة تقترن عادة بالجهل والصدفة ، وكثيرا ما تعدت الفضلاء واستقرت على من لا قيمة لهم) فلاحظ كيف صحح هذه النقطة وقال « معينين سابقا حسب قصد الذى يعمل كل شىء » ٠ أى اننا لم نجعل مجرد ميراث ، كذلك لم يتم اختيارنا فقط (لأن الله هو الذى يختار) ٠ كذلك لم تصبنا القرعة فقط (لأن الله هو الذى يحدد النصيب) ، لكن الأمر يتم « حسب قصد الذى يعمل » ٠ وهذا ما يقوله أيضا فى رسالة رومية (ص ٨ : ٢٨ ـ ٣٠) : « الذين هم مدعوون حسب قصده ٠ لأن الذين سبق فدعاهم فهؤلاء بررهم ٠ والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا »

واذ استخدم أولا هذا التعبير « مدعوون حسب قصده » ، وفى نفس الوقت أراد أن يبين امتيازهم بالمقارنة مع باقى البشر ، فقد تحدث أيضا عن الميراث بالقرعة ، بحيث لا يحرمهم من حرية الارادة ٠ اذن فهذه النقطة ، المتعلقة بالحظ السعيد ، هى التى يشدد عليها ٠ لان هذا الميراث بالقرعة لا يتوقف على الفضيلة ، بل على الظروف العرضية ، أى على المصادفة ٠

وكأنه قد قال : لقد ألقيت القرعة ، والله اختارنا ، لكن الكل يتم بالاختيار الحازم ٠ لقد أفرز لنفسه اولئك الذين سبق فعينهم ، أى اختارهم

---

(١) كان الميراث يوزع بالقرعة ٠

لنفسه · كأنه قد رآنا ، واختارنا قبل أن نولد · لأن علم الله السابق عجيب ، وهو عليم بكل الأشياء قبل أن تبدأ ·

لكن لاحظ كيف حرص الرسول على أن يشير بان هذه الأمور قد رتبت منذ البدء ، لا نتيجة لتغيير فى المقاصد · ولذلك فنحن لسنا أقل من اليهود فى هذه الناحية ، وكيف أن الله ــ تبعا لهذا ــ يفعل كل شيء مراعيا هذا الاتجاه · اذن فكيف قال المسيح نفسه : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ؟ » (مت ١٥ : ٢٤) ، وقال أيضا لتلاميذه : « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا » (مت ١٠ : ٥) · ويعود بولس نفسه ليقول : « كان يجب أن تكلموا أنتم أولا بكلمة الله · ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه الى الأمم » (اع ١٣ : ٤٦) ·

وأقول ان هذه العبارات قد استخدمت لهذا الغرض ، وهو انه يجب أن لا يفترض أحد بان هذا العمل تم مصادفة فقط · فالرسول يقول : « حسب قصد الذى يعمل كل شيء حسب مشورة مشيئته » · أى انه اذا أتم عملا لا يعود اليه مرة أخرى ، لكنه اذ رتب كل شيء من البداية ، فانه يدفع كل شيء الى الأمام « حسب مشورة مشيئته » · ولذلك فان الله دعا الأمم ليس لمجرد رفض اليهود أن يسمعوا ، ولا لأن الأمر كان ضروريا ، ولا لأى اغراء صدر منهم ·

ع ١٢و١٣ . « **لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح · الذى فيه أيضا أنتم اذ سمعتم كلمة الحق انجيل خلاصكم ···** »

لاحظ كيف يتكلم الرسول عن المسيح فى كل مناسبة ، على أساس انه هو منشىء كل شيء · ولم يرد فى أى موضع ادنى اشارة تفيد أنه دعاه عاملا ثانويا خاضعا له ، أو قال انه مجرد خادم · وأيضا فى مناسبة أخرى فى رسالته الى العبرانيين قال : « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء بانواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » أى بابنه (عب ١ : ١و٢) ·

« كلمة الحق » لم يقل الكلمة التى من هذا القبيل ، أو التى على هذه الصورة ·

« انجيل خلاصكم » · وحسنا دعاه انجيل الخلاص ، لكى يبين أنه يختلف عن الناموس ، ويختلف عن القصاص القادم · وليست الرسالة الا انجيل الخلاص الذى يتحاشى هلاك من يستحقون الهلاك ·

ع ١٤ . « الذى فيه أيضا اذ آمنتم ختمتم بالروح القدس ، روح الموعد ، الذى هو عربون ميراثنا » .

هنا أيضا نجد الكلمة « ختمتم » ، وهى كلمة تشير الى تدبير سابق خاص . فهو لم يتكلم فقط عن سبق تعييننا ، أو اختيارنا ، بل عن ختمنا . وكما أن من يريد أن يجعل الذين سوف يكونون من نصيبه ظاهرين ، هكذا أفرزهم الله ليؤمنوا ، وختمهم للحصول على البركات القادمة .

وهكذا ترون كيف انه بمرور الزمن يجعلهم موضوع تعجب . طالما كانوا فى علمه السابق غير ظاهرين لأحد ، لكن عندما ختموا صاروا ظاهرين ، لكن ليس مثلنا ، لان قليلين هم الذين سوف يصيرون ظاهرين . والاسرائيليون أيضا ختموا ، لكن ذلك كان بالختان ، كالبهائم والخليقة غير العاقلة . ونحن أيضا ختمنا ، لكن كبنين ،« بالروح » .

ولكن ما هو معنى « بروح الموعد ؟ » لا شك فى أنها تعنى أننا قبلنا الروح حسب الموعد . لأن هنالك وعدين ، الأول بالانبياء ، والثانى من « الابن » .

بالانبياء . استمعوا الى كلمات يوئيل : « أسكب روحى على كل جسد (بشر) فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى » (يوئيل ٢ : ٢٨) . واستمعوا أيضا لكلمات المسيح : « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهودا فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) . ويقينا ان الرسول يقصد أننا ينبغى أن نصدق المسيح على أساس أنه هو الله . وعلى أى حال فانه لم يؤسس تأكيده على هذا ، بل فحصها كقضية تخص الانسان ، وأكثر الكلام عنها ، كما جاء فى الرسالة الى العبرانيين (عب ٦ : ١٨) حيث يقول : « حتى بامرين عديمى التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما يكون لنا تشديد قوى » .

هكذا نراه هنا أيضا يجعل الأشياء السابق منحها علامة أكيدة للوعد بالاشياء القادمة . لأجل هذا السبب دعاها « عربونا » . (انظر أيضا ٢ كو ١ : ٢٢) . فالعربون جزء من الكل . لقد اشترى ما يخصنا كلنا ، أى خلاصنا ، وفى نفس الوقت أعطانا عربونا . ولماذا لم يعط الكل دفعة واحدة ؟ لأننا من جانبنا لم نتمم كل مهمتنا . فقد آمنا ، وهذه بداية . وهو من جانبه أعطى عربونا . وعندما نظهر ايماننا باعمالنا فانه يهب الباقى .

والاكثر من هذا انه أعطى عربونا آخر ، أى دمه ، ووعد بآخر أيضا . وكما يحصل فى الحروب بين أمة وأمة ، اذ يعطون رهائن (أسرى) تحت

الفدية ، هكذا أعطانا الله ابنه كضمان للسلام ، ومعاهدة ثابتة ، وأعطانا أيضا الروح القدس الذى هو منه • لان الذين هم شركاء فى الروح يدركون أنه هو عربون ميراثنا •

هكذا كان بولس الذى تذوق هنا مقدما البركات التى هى هناك • لهذا كان مشتاقا جدا ، ومتلهفا على أن يتحرر مما هو أسفل ، ويئن فى نفسه • لقد وجه كل فكره الى هناك ، ورأى كل شيء بنظرة أخرى • أن لم يكن لك نصيب فى الحقيقة ، فانك تفشل فى فهم الوصف • لو كنا كلنا شركاء فى الروح لرأينا السماء وما فى السماء •

والى أي شيء يهدف هذا العربون ؟

ع ١٤ : « فداء قنية الله (٢) »

لأن فداءنا الكامل كمالا مطلقا (٣) يتم وقتئذ • فنحن الان نعيش فى العالم ، معرضين لاحداث بشرية كثيرة ، ونعيش وسط أشخاص أشرار • لكن فداءنا الكامل يتم عندما لا تكون هنالك خطية ، ولا آلام بشرية ، وعندما لا نكون مختلطين بكل أصناف البشر اختلاطا لا يمكن التمييز فيه بين هذا وذاك •

فى الوقت الحاضر لا يوجد سوى العربون ، لأننا الآن بعيدون جدا عن تلك البركات • لكن وطننا ليس على الأرض ، فاننا حتى فى وقتنا الراهن بعيدون عن نطاق الأشياء الأرضية • نعم فنحن لا زلنا غرباء الآن •

ع ١٤. « لمدح مجده » • وقد أسرع فاضاف هذه العبارة • ولماذا ؟ لأنها تساعد على اعطاء من سمعوها تأكيدا كاملا • وقد قصد أن يقول : لو كان الله قد فعل هذا من أجلنا فقط لوجد المجال للريبة والشك • أما ان كان قد فعله من أجل نفسه ، ولكى يعلن صلاحة ، فقد قدم مبررا لماذا لم تكن هذه الأمور على وجه آخر • وهذا الأسلوب من الحديث نجده يطبق فى كل موضع على حالة الاسرائيليين • «أصنع هذا من أجلنا ومن أجل اسمك» (مز ١٠٩ : ٢١)• وأيضا قال الله نفسه : « من أجل نفسى أفعل » (اش ٤٨ : ١١) • وهكذا أيضا قال موسى : « أفعل هذا ، ان لم يكن لشيء آخر ، فافعله لمجد اسمك » •

---

(٢) « فداء الشعب الذى اقتناه الله لنفسه » حسب ترجمة الاباء البولسيين • « فداء خاصته » حسب ترجمة اليسوعيين المنقحة •

(٣) يتم الفداء الكامل عندما تبطل نهائيا الآلام والخطية والموت ، وذلك عند مجيء المسيح ثانية فى مجده (لو ٢١ : ٢٧) •

هذا يعطى السامعين تأكيدا كاملا ، ويساعدهم على أن يصدقوا بانه لا بد أن يتمم كل ما وعد به ، وذلك من أجل صلاحه ٠

مغزى أدبى

يجب أن لا يكون الاستماع الى هذا سببا يدفعنا الى التراخى ، فرغما عن أن الله يفعل هذا من أجل نفسه الا أنه يتطلب منا واجبا نؤديه ٠ فان قال : « انى أكرم الذين يكرموننى ، والذين يحتقروننى يصغرون » (١ صم ٢ : ٣٠) وجب أن نذكر بان هنالك أيضا ما يطلبه منا ٠ صحيح انه مما يؤدى الى مدح مجده أن يخلص الاعداء ، وأن الذين صاروا أحباءه يستمرون بان يكونوا أحباءه ٠ ولذلك فان عادوا الى حالتهم السابقة ، وصاروا اعداء ، كان كل شىء عبثا وبدون جدوى ٠ ولا يبقى هنالك مجال لمعمودية أخرى ، أو مصالحة ثانية ، « بل قبول دينونة مخيف تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٧) ٠

وفى نفس الوقت اذا أصرينا على الأستمرار دواما فى عداوة معه ، ومع ذلك نطلب منه المغفرة ، فاننا لن نكف عن أن نكون أعداء ، ومتهورين ، ومتمادين فى فجورنا ، وعميانا أمام شمس البر المشرقة ٠ ألست ترى الأشعة التى تفتح عينيك ؟ اجعلهما اذنين صالحتين ، وسليمتين ، وحادتى النظر ٠ لقد أظهر لك الرب النور الحقيقى ٠ فان تجنبته ، وركضت الى خلف نحو الظلمة ، فماذا تكون حجتك ؟ أى نوع من المسامحة يمكن أن يعطيها لك ؟ لا شىء مطلقا ٠ لأن تصرفك هذا ينم عن عداوة لا يعبر عنها ٠ وان كنت حقا لم تعرف الله وصرت فى حالة عداوة معه ، فقد يلتمس لك بعض العذر ٠ أما ان كنت قد ذقت الصلاح والعسل ، ثم تركتهما ثانية ، وعدت الى قيئك ، فانك انما تقدم دليلا على بغضتك الزائدة لله واحتقارك له ٠

ولعلك تقول : «نعم ، لكننى مغلوب على أمرى بسبب الطبيعة» ٠ ان كنت مغلوبا على أمرك حقا فانك قد تنال الصفح ، أما ان كنت خانعا بسبب البلادة والكسل فلا تنتظر قط أى صفح ٠

اذن تعال الآن لنبحث هذا الموضوع ، لنرى ان كانت الخطايا نتيجة قوة ضاغطة ، أو نتيجة التراخى وعدم المبالاة ٠ يقول الناموس : « لا تقتل » ٠ فاى نوع من القوة الضاغطة هنا ؟ فالضغط يستخدمه المرء لكى يضغط على نفسه ليقتل ٠ لأنه من منا يدفع سيفه ـ بمحض رغبته ـ فى رقبة أخيه ويلوث يده بالدماء ؟ لا أحد ٠

اذن فانت بالعكس ترى أن الخطية ترتكب بفعل قوة ضاغطة ٠ لأن الله غرس فى طبيعتنا سحرا يلزمنا بان نحب بعضنا بعضا ٠ وهذا السحر يقول : « كل حيوان يحب نظيره ، وكل انسان قريبه » (حكمة يشوع ١٣ : ١٥) ٠ أرأيت كيف اننا نحمل فى طبيعتنا بذورا تتجه نحو الفضيلة ، أما بذور

الرذيلة فهى تتنافى مع الطبيعة ؟ لكن اذا تسلطت علينا هذه الاخيرة فهذه علامة على شدة تراخينا ٠

وأيضا ما هو الزنى ؟ ما الذى يلزمنا على ارتكابه ؟ لا شك فى أنه سوف يقال انه ضغط الشهوة ٠ لكن لماذا يحدث هذا ؟ أليس لكل واحد سلطان أن تكون له زوجته ، وبهذا يتخلص من هذا الضغط ؟ هذا صحيح ٠ لكنه قد يقول : ان نوعا من الشهوة يضغط على لكى أشتهى زوجة قريبى ٠ لكن المسألة لا تعنى أن هنالك ضرورة حتمية ٠ فالشهوة ليست ضرورية حتمية ، وليس محتما ان كل واحد يجب أن يحب ، لكنه يفعل هذا بمجرد اختياره وحرية ارادته ٠ قد يكون اشباع الطبيعة فعلا أمرا ضروريا ٠ أما أن تحب امرأة معينة دون غيرها فهذا ليس أمرا ضروريا ٠ كذلك ليس الأمر معك شهوة طبيعية ، بل عبث واستسلام للدعارة ٠ أيهما أقرب الى العقل : أن تكون للمرء زوجته ، التى ولدت له أولاده ، أم امرأة ليست له صلة بها ؟ ألست تعرف أن كثرة التودد تنشىء العلاقات القوية ٠

اذن ليست الطبيعة هى المسئولة عن هذه ٠ لا توجه اللوم الى الشهوة الطبيعية ٠ فالشهوة الطبيعية اعطيت لنا بقصد التزوج ، لقد اعطيت الينا بقصد انجاب النسل ، لا بقصد الزنى والفساد ٠

والقوانين أيضا تعرف كيف تصفح عن الخطايا التى ترتكب بحكم الطبيعة ، وبالتالى كل ما يرتكب بحكم الطبيعة لا يعتبر خطية ، فكل خطية تنشأ من الخلاعة ٠ والله لم يخلق طبيعة الانسان بحيث يجب أن يرتكب الخطية ، والا لما وجد هنالك مجال للقصاص ٠ ونحن أنفسنا لا نبالى بما يرتكب بحكم الضرورة ، وبالاولى جدا الله المملوء رحمة ومحبة وعطفا ٠

وأيضا : ما هى السرقة ؟ هل هى أمر حتمى ؟ قد يقول قائل : نعم ، لأن هذا ما يسببه الفقر ٠ لكن الفقر بالاحرى يلزمنا بان نعمل ، لا بان نسرق ٠ لذلك فالفقر له نتيجة عكسية ٠ السرقة نتيجة الكسل والبلادة ، أما الفقر فانه لا يدفع عادة الى الكسل ، بل الى محبة العمل ٠ ولذلك فهذه الخطية هى نتيجة البلادة والتراخى كما رأيت ٠ والآن أوجه هذا السؤال : أيهما أكثر مشقة ، وأيهما اكثر قبحا واشمئزازا للنفس ، هل هو التجول طول الليل مع الحرمان من النوم ، واقتحام البيوت ، والتسكع فى الظلام ، وتعريض الحياة للخطر ، والاستعداد دواما للموت قتلا ، والفزع رعبا وخوفا ؟ أم أن يلتفت المرء الى عمله كل يوم ، مع التمتع الكامل بالسلام والطمأنينة ؟ لا شك ان الحالة الأخيرة هى الأسهل ٠ ولأنها هى الأسهل فان أغلب الناس يمارسونها ٠ اذن فانت ترى أن الفضيلة تتفق مع الطبيعة ، وأن الرذيلة لا تتفق مع الطبيعة ، كما هو الحال مع المرض والصحة ٠

وأيضا ما هو الحلف ؟ ما الذى يلزم المرء بان يحلف ؟ ليس هنالك أى مبرر قط ، فهذه مسألة نلجأ اليها بمجرد اختيارنا . قد يقال : ان الناس لا يصدقوننا . صحيح ان الناس لا يصدقوننا ، لأن هذا باختيارنا . فاننا ان شئنا ـ نستطيع أن نجعل الناس يصدقوننا بسبب أخلاقنا لا بسبب أقسامنا . قل لى : لماذا لا نصدق البعض حتى ان أقسموا ، بينما نصدق الآخرين حتى وان لم يحلفوا ؟ ألست ترى أنه ليس هنالك أى مبرر للاقسام مهما كانت الأحوال ؟ نحن نقول : « عندما يتكلم فلان فاننى أصدقه حتى ولو لم يحلف ، أما أنت فاننى لا أصدقك حتى ان حلفت » .

اذن فالحلف ليس ضروريا ، وهو فى الواقع دليل على عدم الصدق ، لا على الثقة . لأنه عندما يكون المرء متأهبا للحلف فانه لا يترك لنا مجالا لكى نكون فكرة عن وساوسه وتشككه . ولذلك فان من يحلف دواما ليس له مبرر قط لكى يحلف . أما من لا يحلف قط فى أية مناسبة فانه يحمل فى نفسه الدليل على أنه صادق . يقول البعض ان الاقسام ضرورية لجعل الناس يصدقون ، أما نحن فنقول ان من لا يحلف يلزم الناس بان يصدقوه

وأيضا اذا كان يميل للثورة وقت الغضب ، فهل ثورة الغضب هذه أمر ضرورى ؟ قد يقول : نعم ، لأن غضبه يحتدم فيه ، ولا يجعل روحه فى راحة . ليست حدة الطبع نتيجة للغضب ، بل لصغر العقل . فلو كانت نتيجة للغضب لتملكت ثورة الغضب على كل الناس كلما غضبوا . اذا غضبنا فليس ذلك لكى تحتدم ثورة الغضب على اخوتنا ، بل لكى نصحح أخطاء من يخطئون ، لكى نتحرك ولا نكون فاترى الهمة . لقد غرس فينا الغضب كشوكة أو منخاس لكى يهيجنا على الشيطان ، ونثور عليه ، لا لكى نحارب بعضنا بعضا . نحن نعطى الأسلحة لا لكى نحارب بها بعضنا بعضا ، بل لكى نستخدم السلاح الكامل ضد العدو .

هل أنت تميل للغضب ؟ اغضب على خطاياك . أدب روحك ، اجلد ضميرك ، كن قاضيا قاسيا غير رحيم فى حكمك على خطاياك . هذه هى الطريقة للانتفاع من الغضب . وهذه هى الغاية التى لأجلها غرس الله الغضب فينا .

وأيضا ، هل السلب والنهب أمر ضرورى ؟ كلا . قل لى ، ما هى الضرورة التى تلزمك بان تكون جشعا ؟ أى نوع من الالزم ؟ قد يقول المرء ان الفقر هو الذى يدفعه لهذا ، والخوف من أن يحرم من ضروريات الحياة العادية . هذا هو نفس السبب الذى يلزمك بان لا تكون جشعا .

ان الأموال التى تأتى عن طريق السلب والنهب لا أمان لها . انك تفعل نفس الشىء الذى يفعله انسان ما اذا ما سئل عن سبب وضع أساس بيته على

الرمل ، فقال انه فعل هذا بسبب الصقيع والأمطار ، مع ان هذا هو السبب الذى يدعوه لكى لا يضعه على الرمل • فالأساسات التى توضع على الرمل هى التى سرعان ما تسقط أمام الأمطار والعواصف والرياح •

ولذلك ان أردت أن تكون غنيا فلا تكن جشعا ، ولا تسلب • وان أردت أن تترك ثروة لأولادك فاحصل على الثروة البريئة ، على الأقل ان وجدت ثروة كهذه • لأن هذه هى التى تبقى ثابتة ، أما التى ليست هى كذلك فانها سرعان ما تبيد وتتلاشى •

قل لى ، هل تفكر بان تكون غنيا وتنهب أموال غيرك ؟ يقينا ان هـذه لا تدعى ثروة ، فالثروة تعنى أنك تقتنى ما هو لك فقـط • أما من يمتلك أموال غيره فلن يمكن أن يكون غنيا • لأنه على هذا القيـاس يصير تجـار الحرير ، الذين يستلمون بضائعهم من غيرهم كامانة ، أغنى الناس • فبالرغم من انهم يملكونها وقتيا ، لكننا لا يمكن أن نعتبرهم أغنيـاء • ذلك لأنهم يمتلكون ما هـو لغيرهم • ومع أن مادة الثروة فى أيديهم لكن الثمن الذى تساويه ليس ملكا لهم • وحتى ان كان المال فى ايديهم فان هذه ليست ثروة •

وان كانت الامانات التى تودع عند الناس لا تجعلهم أثرياء ، لأنهم لا بد أن يسلموها لأربابها سريعا فكيف تجعلهم الأموال التى حصـلوا عليهـا بالاغتصاب أثرياء ؟

وعلى أى حال : ان كنت تريد – باية كيفية – أن تكون غنيا فاى خير حقيقى تجده ؟ هل تطيل ايام حياتك ؟ يقينا ان اشخاصا كهؤلاء تقصر أيام حياتهم • فكثيرا ما حل بهم الموت قبل الأوان كقصاص لهم على السلب والنهب والاغتصاب • وهم لا يحرمون فقط من التمتع بما جنوه ، وذلك كقصـاص لهم ، بل يتركون الحياة دون أن يجنوا الا القليل • ويضاف الى هـذا انهم ينالون جهنم • وأيضا كثيرا ما ماتوا بالأمراض ، التى هى ثمار الانغماس فى الشهوات ، والاجهاد الشديد ، والارتباكات والهموم •

والذى أريد أن أفهمه هو لماذا يركض البشر وراء الثروة • ويقينا ان الله – لهذا السبب – أقام حدودا لطبيعتنا لكى لا تكـون لنا حاجة للبحث عن الثروة وراء هذه الحدود • فمثلا ، لقد أوصانا بان لا نرتدى الا ثوبا واحدا أو اثنين ، ولا داعى لأكثر من هذا لتغطية الجسد • فما المنفعة من وجود عشرة آلاف ثوب لتأكلها العثة ؟

والمعدة لها سعتها المحدودة • واذا ما أعطى لها أى شئ أكثر من هذه

الحدود اعتل جسم الانسان كله • وما الفائدة اذن من قطعانك ومواشيك واتلاف الجسد ؟

نحن نحتاج الى سقف واحد ليظللنا • فما المنفعة من البيوت الفسيحة والمبانى الفاخرة ؟ هل تجردون الفقير من ممتلكاته لكى تهيئوا للنسور والطيور أمكنة تسكنها ؟ هذه كلها لا تهيىء الا لجهنم • يشيد الكثيرون مبانى فاخرة دون أن يسكنوها • لقد تجلت فيها المهارة الشديدة • ومع ذلك لا يجنون منها أية فائدة ، ولا أى واحد آخر • واذا ما أحسوا بالوحدة والوحشة فان هذا لا يدفعهم للالتجاء الى تلك البيوت • ومع ذلك لا يكفون عن تصرفاتهم •

وها أنت ترى ان الناس لا يقيمون هذه المبانى للمنفعة • لكن الباعث على هذا هو الحماقة ، والسخافة ، والافتخار • ورجائى لك أن تتجنبها ، لكى تتجنب أيضا كل شر آخر ، وتنال الخيرات التى وعد بها جميع من يحبونه ، فى ربنا يسوع المسيح ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس ، المجد والقوة والكرامة ، الى الأبد ، آمين ؟

العظة الثالثة

(ص ١ : ١٥ ـ ٢٠)

« لذلك أنا أيضا ، اذ قد سمعت بايمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين ، لا أزال شاكرا لاجلكم ذاكرا اياكم فى صلواتى ، كى يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان فى معرفته ، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميرائه فى القديسين ، وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح اذ أقامه من الأموات »

لم يوجد مثيل لحنين وعواطف ومحبة المغبوط الرسول بولس الذى قدم كل صلاة من أجل مدن برمتها ، وشعوب كاملة ، وكتب نفس الكلام للكل (١) : « لا أزال شاكرا الهى من أجلكم ، ذاكرا اياكم فى صلواتى » ٠ تأمل فى كم كان هنالك الكثيرون الذين فى ذاكرته ، وفى مقدار المشقة التى كان يجدها فى تذكرهم ٠ ما أكثر الذين كان يذكرهم فى صلواته ، شاكرا الله من أجل جميعهم ، كأنه هو نفسه قد نال أعظم بركة ٠

لقد قال : « لذلك » أى بسبب ما سوف يلى ، بسبب الخيرات المدخرة لمن يؤمنون حقا ، ويعيشون حقا ٠ اذن فقد كان يليق به أن يقدم الشكر لله من أجل كل ما أخذه منه البشر فى الأيام السالفة والأيام القادمة ٠ وكان يليق به أيضا أن يقدم الشكر من اجل ايمان من يؤمنون ٠

وقال أيضا « اذ قد سمعتُ بايمانكم بالرب يسوع ، الذى نظهرونه نحو جميع القديسين » ٠

هو فى كل المناسبات يقرن معا الايمان بالمحبة ، وهذان صنوان مجيدان ٠ وهو لم يذكر قديسى تلك المملكة فقط ، بل « جميع القديسين » ٠

« لا أكف عن الشكر (لا أزال شاكرا) لاجلكم ، ذاكرا اياكم فى صلواتى » ٠

---

(١) رو ١ : ٩ ، ١ كو ١ : ٤ ، فى ١ : ٣و٤ ، كو ١ : ٣ ، ١ تس ١ : ٢ ٠

وما هى صلواتك ، وما هى تضرعاتك ؟ أى :

« كى يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان »٠ لقد أرادهم أن يدركوا أمرين ، وكان واجبا أن يدركوهما ٠ أى مقدار البركات التى دعوا اليها ، وكيف انهم تخلصوا من حالتهم السابقة ٠ وقد قال هو نفسه انه أرادهم أن يدركوا ثلاثة امور ٠ وكيف صارت ثلاثة ؟ لكى ندرك الأمور الآتية ٠ لأننا من الخيرات المحفوظة لنا ندرك الثروات التى لا ينطق بها ، والسامية جدا ، واذ ندرك أنفسنا ، وكيف آمنا ، ندرك عظمته وسلطانه ، اذ أعاد لنفسه أولئك الذين كانوا قد تغربوا عنه زمنا طويلا ٠ « لان ضعف الله أقوى من الناس » (١ كو ١ : ٢٥) ٠ فانه قد قربنا الى نفسه بنفس القوة التى أقام بها المسيح من الأموات ٠ وليست هذه القوة قاصرة على الاقامة من الأموات ، بل انها تفوقها جدا ٠

ع ٢١و٢٢. « وأجلسه عن يمينه فى السماويات ، فوق كل رياسة وسلطان ، وقوة وسيادة ، وكل اسم يسمى ٠ وأخضع كل شىء تحت قدميه ٠ واياه جعل رأسا فوق كل شىء للكنيسة ، التى هى جسده ، ملء الذى يملأ الكل فى الكل » ٠

عميقة وفسيحة حقا هى تلك الاسرار التى جعلنا شركاء فيها ٠ ونحن لا نستطيع أن ندرك هذه الا اذا كنا شركاء الروح القدس ، ونلنا نعمة غزيرة ٠ ومن أجل هذا صلى بولس قائلا « أبو المجد » ، اى ذاك الذى منحنا بركات غنية ، لأنه يخاطبه دائما بما يتلاءم مع موضوع بحثه ، كما حدث مثلا عندما قال : « أبو الرأفة واله كل تعزية » (٢ كو ١ : ٣) ويقول أيضا النبى : « الرب صخرتى وحصنى » (مز ١٨ : ١و٢) ٠

ع ١٧ « ابو المجد » ٠

ليس له اسم يمثل به هذه الأشياء ، وفى كل المناسبات يدعوها « مجدا » ٠ وهذه التسمية فى الواقع تمثل كل شىء مجيد ٠ ولاحظ أنه يقول « أبو المجد » (أنظر أع ٧ : ٢) ٠ لكنه اذ يتحدث عن المسيح يقول انه هو الله ٠ وماذا يعنى هذا ؟ هل الابن أقل من المجد ؟ كلا ، لا يجرؤ أحد ان يقول هذا حتى وان كان معتوها ٠

ع ١٧ « كى يعطيكم » ٠

اى كى ينشط أذهانكم ، لأنه بدون هذا لا يمكن فهم هذه الأمور ٠ « لأن الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة » (١ كو

٢ : ١٤) • لذلك تدعو الحاجة الى الحكمة لكى ندرك الروحيات ، فنرى الخفيات • الروح يعلن كل شىء ، ويكشف أسرار الله • الروح وحده يدرك ، وهو أيضا يفحص أعماقه • لم يقل : « كى يعطيكم الملاك او رئيس الملائكة أو أية خليقة اخرى » ، اى يعطيكم هبة روحية • وان كان هذا عن طريق الاعلان أو الرؤيا صار اكتشاف الحجج باطلا • لأن من تعلم الله ، وعرف الله ، لن يتناقش فى أى شىء • لن يقول : هذا مستحيل ، وهذا ممكن ، وكيف تم هذا الأمر • اذا ما تعلمنا الله وجب ان نعرفه • ان تعلمنا الله ممن يجب ان نتعلم ، أى من الروح القدس نفسه ، فاننا عندئذ لا نتناقش فى أى شىء آخر •• ومن أجل هذا قال : « مستنيرة عيون اذهانكم فى معرفته » •

ان من تعلم الله لا يشك فى مواعيده ، ولا يشك فيما حدث • بل يصلى أن يعطى « روح الحكمة والاعلان » • وعلاوة على ذلك فانه أيضا يؤيد هذا بالحجج ، وبالأمر الواقع • لأنه اذ كان على وشك أن يذكر بعض أشياء حدثت ، وأشياء لم تحدث بعد ، جعل تلك التى حدثت برهانا على التى لم تحدث ، بكيفية ما ، مثلا كالآتى :

لتعلموا رجاء دعوته •

كأنها خافية ، لكنها لا تخفى على المؤمنين •

وأيضا : « ما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين » •

وهذا أيضا لا يزال مخفى •

ولكن ما الذى أعلن ؟ اننا بقوته آمنا أنه أقام المسيح • فان اقناع النفوس أمر معجزى أشد غرابة من اقامة شخص ميت • وسأحاول توضيح هذه الحقيقة • استمع اذن • لقد قال المسيح للميت : « لعازر ، هلم خارجا » (يو ١١ : ٤٣) • وللحال أطاع الأمر الالهى • وبطرس قال : « يا طابيثا قومى » (أع ٩ : ٤٠) فلم تعص الأمر • وهو نفسه سينطق بالكلمة فى اليوم الأخير ، وعندئذ يقوم سريعا أولئك « الأحياء الباقون ولا يسبقون الراقدين » (١ تس ٤ : ١٥) ، والكل يركضون معا « فى لحظة فى طرفة عين » (١ كو ١٥ : ٥٢) •

أما فيما يتعلق بالايمان فليس الأمر هكذا • وكيف يتم ؟ استمع اليه ثانية ، وانظر كيف قال : « كم مرة أردت أن اجمع اولادك ، ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) • هكذا ترون أن الايمان أشد صعوبة • ومن أجل هذا فانه يبنى كل حجته على هذه الحقيقة • فمن الاحصاءات البشرية يتضح أن التأثير على الارادة أشد صعوبة من التأثير على الطبيعة • والسبب فى هذا أنه يريد أن نكون صالحين بمحض رغبتنا • ولهذا قال :

« عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن الذين نؤمن » .

نعم ، فانه عندما عجز الأنبياء عن أن يفعلوا شيئا ، وكذا الملائكة ، وكل الخليقة - المنظورة وغير المنظورة (فالمنظورة قائمة أمامنا عاجزة عن ارشادنا ، وكذلك غير المنظورة) عندئذ رتب بان يأتى الينا ، لكى يبين أن الأمر يستدعى قوة الهية .

« غنى مجد ميراثه »

أى المجد الذى لا يعبر عنه . لأنه أية لغة تقدر أن تعبر عن ذلك المجد الذى سوف يشترك فيه القديسون وقتئذ ؟ هذا مستحيل . فالأمر يحتاج الى النعمة لكى يدرك الذهن ولو شعاعة ضئيلة . لقد أدركوا فعلا بعض الأشياء من قبل . ولذلك أراد وقتئذ أن يدركوا أشياء أكثر ، ويدركوها بوضوح أكثر .

ألست ترى كيف عمل أشياء عظيمة ؟ لقد أقام المسيح . هل هذا أمر يسير ؟ لكن أنظر أيضا . وأقامه عن يمينه . وهل توجد أية لغة تستطيع وصف هذا ؟ فالذى كانت تهزأ به الشياطين ، رفعه الله الى فوق فى لحظة . حقا ان هذه هى « عظمة قدرته الفائقة » . ثم أنظر الى أين رفعه :

« الى السماويات »

لقد رفعه فوق كل المخلوقات ، « فوق كل رياسة وسلطان » .

« فوق كل رياسة »

اذن كانت الحاجة تدعو الى الروح ، الى الذهن الحكيم فى معرفته . اذن كانت الحاجة تدعو الى الاعلان . تأمل فى مقدار بعد المسافة بين طبيعة الانسان وطبيعة الله . ومع ذلك فقد رفعه الله من هذه الحالة المتواضعة الى هذه الكرامة الرفيعة . وهو لا يرفع بالتدريج ، أولا خطوة واحدة ، ثم خطوة ثانية ، ثم ثالثة . يا له من أمر مذهل . فهو لم يقل فقط « فوق » ، بل « فوق جدا » . لأن الله أعلى من هذه القوات العالية . اذن فالى هناك أقام المسيح ، الذى هو واحد منا ، رفعه من أدنى درجة الى السماك الأعلى ، الذى لا يوجد مجد أعلى منه . فوق « كل » الرياسات ، لم يقل فوق رياسة واحدة دون غيرها ، بل فوق « كل رياسة »

« رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى »

فصار فوق كل من فى السماء . وهذا ما قيل عن ذاك الذى أقيم من الأموات ، والذى يستحق منا كل تمجيد . وكل الخليقة لا توازى شيئا بازاء الله ، كما ان الحشرات لا توازى شيئا بجانب الانسان . وان كانت كل البشرية لا تحسب الا بصقة ، وحسبت كغبار الميزان (اش ٤٠ : ١٥) ، فان القوات غير المنظورة تحسب كحشرات . أما عن ذاك ، الذى هو واحد منا ، فهذا أمر مذهل جدا . لأنه أقامه من أقسام الأرض السفلى (أف ٤ : ٩و١٠) . وان كانت كل الأمم تحسب « كنقطة من دلو » (أش ٤٠ : ١٥) فلن يكون الانسان الا جزءا من نقطة . ومع ذلك فقد جعل الله المسيح أعلى من كل شيء « ليس فى هذا الدهر فقط بل فى الدهر الآتى أيضا » . اذن فهنالك قوات غامضة وغير معروفة لنا .

« وأخضع كل شيء تحت قدميه »

وليس المقصود أنه انما أكرمه فوقها ، أو فضله عليها ، لكنه جعله يجلس فوقها كعبيد له . هذا أمر مذهل ورهيب . لقد جعلت كل القوات المخلوقة عبيدا للانسان لأن الله الكلمة حل فيه . فالانسان يمكنه أن يسمو على غيره من البشر ، دون أن يخضعوا له ، بل على أساس انه أسمى منهم .

أما هنا فالأمر يختلف . فالله « أخضع كل شيء تحت قدميه » . وهو لم يخضع كل شيء فقط ، لكنه أخضعه الى أسفل الدرجات . ولذلك اضاف قائلا « تحت قدميه » .

« واياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة »

هذا أيضا أمر مذهل . فالى أين رفع الكنيسة ؟ لقد رفعها – كما بآلة رافعة – الى ارتفاع شاهق ، وأقامها على ذلك العرش . لأنه حيث وجدت الرأس وجد أيضا الجسد . فلا يوجد فاصل يفصل الرأس عن الجسد . اذ لو كان هنالك أنفصال لما وجد بعد هنالك جسد ، ولما وجدت رأس .

« فوق كل شيء »

وما هو المقصود بهذه العبارة ؟ انه لم يسمح لأى ملاك ، أو رئيس ملائكة ، أو لكائن آخر ، أن يكون فوقه . وهو لم يكرمنا بهذه الطريقة فقط ، اذ رفع ذاك الذى أخذ طبيعتنا ، بل أيضا لأنه أعد كل الجنس البشرى ليتبعه ، ويتمسك به ، ويسير فى ركبه .

« التى هى جسده »

حتى اذا ما سمعتم عن الرأس لا تخطر ببالكم فكرة الرئاسة فقط ،

بل أيضا فكرة التماسك ، ولكى لا تتطلعوا اليه كرئيس قائد فقط ، بل كرأس لجسد ٠

وقال أيضا : « ملء الذى يملأ الكل فى الكل »

كأن هذا لم يكن كافيا لأظهار الصلة والعلاقة ٠ وماذا أضاف ؟ « للكنيسة » ٠ وحسنا فعل ، لأن الجسد يكمل الرأس ، والرأس تكمل الجسد ٠ لاحظ دقة الكلام التى يراعيها الرسول بولس ، وكيف انه لم يترك كلمة واحدة لكى يصور مجد الله ٠ وكأنه قد قال ان الرأس يكملها الجسد ، لأن الجسد مكون من أعضاء مختلفة ٠ والجسد فى حاجة الى الأعضاء ، ليس ككل ، بل الى كل عضو بمفرده ٠ لأننا ان لم نكن كثيرين : اليد ، والرجل ، وسائر الأعضاء ، فان الجسد لن يكمل ٠ اذن فكل الأعضاء تملأ الجسد ٠ وهكذا عندما نكون كلنا مرتبطين معا ، ومتحدين معا ، يصير الجسد كاملا ٠

أرأيت اذن « غنى مجد ميراثه ؟ عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن الذين نؤمن ؟ رجاء دعوتكم ؟ »

مغزى أدبى

ينبغى أن نوقر رأسنا ٠ ولنذكر أنه هو الرأس ونحن الجسد ، الرأس الذى أخضع له كل شىء ٠ وفقا لهذه الصورة ينبغى أن نكون نحن أفضل حتى من الملائكة ، وأعظم من رؤساء الملائكة ، فالله أكرمنا فوقها كلها ٠ والرسول بولس قال فى رسالته الى العبرانيين ان « الله لم يمسك الملائكة ، بل أمسك نسل ابراهيم » (عب ٢ : ١٦) لم يمسك الرئاسات والسلطات والقوات والسيادات ، أو أية سلطة أخرى ، بل امسك طبيعتنا ، واجلسها عن يمينه ٠ لقد جعلها ثوبه (١) ٠ وليس ذلك فقط ، لكنه « أخضع كل شىء تحت قدميه » ٠ كم هى أنواع الموت كما ترى ؟ وكم نفسا عشرة آلاف ؟ كلا ، فان عشرة آلاف مرة لا تكفى ، لا يمكنك أن تتخيل ٠

لقد فعل أمرين ، وهما أعظم ما عمل : لقد نزل الى أقصى حدود التواضع ، ورفع الانسان الى أسمى علو ٠ لقد خلصه بدمه ٠ لقد تحدث عن الناحية الأولى أولا ، وكيف انه وضع نفسه الى أقصى حدود التواضع ٠ والان يتحدث عما هو أقوى ، عن تاج كل شىء ٠ ولو كان قد قال اننا لا نستحق شيئا ، لكان ذلك يكفى ٠ وحتى لو كان قد قال اننا حسبنا مستحقين لهذه الكرامة ، لكان ذلك يكفى ، دون القول انه أسلم ابنه

(١) قال القديس كيرلس الأسكندرى : ان المسيح لبس طبيعتنا ٠

للذبح . أما وقد تحدث عن الأمرين فاية لغة تستطيع التعبير عن هـذا السمو ؟ هذا أسمى من القيامة نفسها . وقد كان يقصد الابن عندما قال « اله ربنا يسوع المسيح » ولم يقل اله الكلمة .

ليتنا نرهب عندما نسمع عن صلتنا الوثيقة . ليتنا نخاف لئلا يفصل أى واحد من هذا الجسد ، لئلا ينزع منه ، لئلا يظهر بانه لا يستحقه . لو أن انسانا وضع تاجا من ذهب فوق رأس أى واحد منا ، ألا يبذل كل ما فى وسعه لكى يبدو مستحقا لهذه الجواهر عديمة الحياة ؟

والآن ، لم يوضع فوق رؤوسنا مجرد تاج ، بل ما هو أعظم جدا . فالمسيح قد صار رأسنا ، ومع ذلك نحن لا نبالى به ، ولا نقدم له أى ولاء أو احترام . ومع ذلك فالملائكة توقر هذا الرأس ، ورؤساء الملائكة ، وكل القوات العلوية . وهل يليق بنا نحن ، الذين هم جسده ، أن لا نرهب ، لا لهذا السبب ، ولا لغيره ؟ وأين يكون اذن رجاء خلاصنا ؟

تأمل لنفسك ، فى العرش الملكى . تأمل فى عظمة الكرامة . هـذه – على الأقل – قد تذهلنا أكثر من جهنم نفسها . لأننا ، ان كنا – بعد أن نلنا كرامة كهذه – نوجد متسفلين وغير جديرين بهذه الكرامة ، فاى قصاص نستحقه ، وأى انتقام ؟ اذكر ان رأسك جالس عن يمين الآب « فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة » . لكن جسد هذه الرأس تطأه الشياطين . كلا ، حاشا أن يكون هذا . والا لما بقى جسد كهذا جسده . ان رأسك يوقره ويحترمه خدامك ، فهل تسمح بان يعرض جسدك لهزء الذين يهينونه ؟ أى قصاص تستحق ان تم شىء كهذا ؟ لو تجاسر انسان وقيد قدمى الأمبراطور بالقيود والسلاسل ، ألا يعرض نفسه لا قسى أنواع القصاص ؟ فهل تعرض الجسم كله لوحوش كاسرة دون أن يقشعر بدنك ؟

وطالما كان حديثنا خاصا بجسد الرب فلنحول تفكيرنا نحـو ذلك الجسد ، الذى صلب ، وسمر على الصليب . ان كنت أنت جسد المسيح فاحمل الصليب ، لانه هو حمله ، تحمل البصق لأنه هو تحمله ، احتمل الآلام لأنه هو احتملها ، احتمل المسامير . هكذا كان جسده ، ذلك الجسد « الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » (١ بط ٢ : ٢٢) . يداه فعلتا كل شىء لخير من كانوا يحتاجون مساعدته . وفمه لم ينطق بكلمة واحدة ليست فى محلها . لقد سمعهم يقولون عنه انه شيطان ، ومع ذلك لم يجبهم بكلمة .

وعلاوة على هذا فان حديثنا يدور حول هذا الجسد . وكثيرون منـا يشتركون فى هذا الجسد ، ويذوقون ذلك الدم ، وهم لا يشتركون – باى

حال من الأحوال – فى أى شىء آخر يختلف عن هذا الجسد · اذكر باننا نشترك فى ذلك الجسد الجالس فى السماء ، الذى تسجد له الملائكة ، الذى له القوة غير القابلة للفساد ، أكثر الطرق المفتوحة أمامنا المؤدية الى الخلاص · ولقد جعلنا جسده ، ومنحنا أن نشترك فى جسده · ومع ذلك لا شىء من هذه يحولنا عن الشر · يا لها من ظلمة عجيبة ، يا لعمق الهاوية ، يا للبلادة · لقد قال : « فكروا فيما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » (كو ٣ : ١) · ورغم كل هذا فهنالك من يركزون تفكيرهم فى المال ، أو الدعارة ، وآخرون صاروا عبيدا لشهواتهم ·

ألست ترى بانه حتى فى جسدنا : ان كان هنالك جزء زائد عن اللزوم ، أو عديم الفائدة ، فانه يقطع ويلقى بعيدا ؟ لأنه لا فائدة منه للجسد ان كان زائدا عن حاجته ، أو كان قد مات أو تعفن ، أو أصبح ضارا بباقى الأعضاء · فينبغى أن لا نفتخر لأننا كنا يوما ما أعضاء فى هذا الجسد · وان بتر من جسدنا هذا بعض الأحيان بعض الأعضاء ، بالرغم من انه جسد طبيعى فاى خطر مروع يعرض له ان انحرف عن الاخلاقيات ؟ ان حرم الجسد من الطعام الطبيعى ، أو تعطلت مسام الجسد عن تأدية وظيفتها ، فانه يموت · وان أغلقت المسام فانه يصاب بالشلل ·

هكذا الحال معنا أيضا · فانه عندما تتوقف آذاننا عن أداء مهمتها أصيبت النفس بالشلل · عندما نمتنع عن تناول الطعام الروحى ، عندما تشلنا الميول الشريرة ، سببت كل هذه الأشياء المرض ، المرض الخطير ، المرض الفتاك · وعندئذ تدعو الحاجة الى تلك النار ، أو البتر · لأن المسيح لا يحتمل أن ندخل الى العرس بجسد كهذا · وان كان قد أخرج الرجل اللابس ملابس قذرة فماذا لا يفعله بالرجل الذى يلوث جسده ؟ ألا يخرجه خارجا ؟

اننى ألاحظ أن هنالك كثيرين يشتركون فى جسد المسيح باستخفاف ، ولمجرد العادة ، واتماما للشكليات دون فهم أو تأمل · يقول البعض انه عندما يحل موعد الصوم الكبير المقدس ، أو عندما موعد عيد الظهور الالهى (عيد عماد الرب يسوع) فان المرء – مهما كانت حياته – يمكنه الاشتراك فى الاسرار الالهية · لكن الذى يهيىء الفرصة المناسبة للاقتراب من الله ليس هو عيد الظهور ، أو الصوم المقدس ، بل هو اخلاص القلب وطهارة النفس · متى توفر هذان الشرطان فاقترب من الله فى أى وقت ، وبدونهما لا تحاول قط · لأنه يقول : « كلما فعلتم هكذا تخبرون بموت الرب » (١ كو ١١ : ٢٦) ، أى تذكرون الخلاص الذى تم لأجلكم ، والبركات التى وهبتها لكم ·

تأملوا فى الذين اشتركوا فى ذبائح العهد القديم · ما هو مقدار

زهدهم الذى مارسوه ؟ ألم يضبطوا أنفسهم ؟ ما الذى لم يمارسوه ؟ كانوا دواما يطهرون أنفسهم • وأنت عندما تقترب من الذبيحة ، التى ترهب منها الملائكة أنفسهم ، فهل تقيس الأمر بحسب تقلبات الظروف ؟ وكيف تظهر نفسك أمام كرسى دينونة المسيح ،أنت الذى تتعدى على جسده بيدين دنستين وشفتين غير نقيتين ؟ أنت لا تجرؤ على تقبيل ملك بفم دنس ، فهل تقبل ملك الملوك بنفس دنسة ؟ هذه اهانة شديدة •

حدثنى ، هل ترضى بالاقتراب الى الذبيحة بيدين غير مغسولتين ؟ لا أعتقد هذا • فانك تفضل أن لا تقترب مطلقا من أن تقترب بيدين دنستين • وان كنت تدقق هكذا فى هذه الناحية التافهة ، فهل ترضى أن تقترب بنفس دنسة ، وتجرؤ على لمس الذبيحة ؟ ومع ذلك فاليدان تلمسانها برهة وجيزة ، أما هى فانها تذوب بكليتها فى النفس • ألست ترى الاوانى المقدسة نظيفة نظافة كاملة ، وتلمع جدا ؟ ولماذا ؟ لأن هذه الأوانى صنعت لأجلنا • هم لا يشتركون فى ذلك الذى وضع فيها ، لأنهم لا يرونه • أما نحن فاننا نشترك حقا •

والآن ، ان كنت لا ترتضى بان تستخدم أوانى ملوثة ، فلماذا تقترب بنفس دنسة ؟ لاحظ المتناقضات • ففى الأوقات الأخرى أنت لا تقترب من الاسرار المقدسة ، حتى وان كنت طاهرا ، أما فى عيد القيامة فانك تقترب رغم شناعة الخطية التى تكون قد ارتكبتها • آه ، يا لقوة العادة ، والجرأة • عبثا تقدم الذبيحة اليومية • وعبثا نقف أمام المذبح ، اذ لا يتقدم أحد للاشتراك فى الذبيحة • لست أقول هذا لأحثك على الاشتراك فى الذبيحة ، بل بالحرى لكى أحثك على أن تجعل نفسك مستحقا للاشتراك فيها •

هل أنت غير مستحق للذبيحة ، أو للاشتراك فيها ؟ ان كان الأمر كذلك فانت أيضا غير مستحق للصلاة • أنت تسمع الخادم (١) يقف ويقول : « على كل الخطاة الموعوظين ان يصلوا » • وكل من لا يشتركون فى الذبيحة خطاة موعوظون • فان كنت واحدا من الموعوظين يجب أن لا تشترك فى الذبيحة • لأن كل من لا يشترك يعتبر واحدا من الموعوظين •

ولماذا يقول اذن : « انصرفوا يا من لم تؤهلوا للصلاة » مع انك بوقاحة تستمر واقفا ؟ لكنك لست من ضمن أولئك ، فانت من عداد المؤهلين للاشتراك ، ومع ذلك فانت غير مكترث بالأمر ، وتعتبره كلا شىء •

أتوسل اليك أن تتأمل : « هوذا قد أعدت أمامك مائدة ملوكية »

---

(١) أى الشماس •

والملائكة يخدمون على هذه المائدة ، والملك نفسه هناك ، فهل يليق أن تقف وتتثاءب ؟ » هل ثيابك قذرة ، ومع ذلك لا تبـــالى ؟ أم انها نظيفة ؟ اذن فاسجد واشترك • فى كل يوم يدخل ويرى الضيوف ، ويتحدث معهم كلهم • نعم ، فهو فى هذه اللحظة يتحدث الى ضميرك ، ويقول : « أيها الأحبــاء ، لماذا تقفون هنا وليس عليكم لباس العرس ؟ » انه لم يقل : لماذا جلستم ؟ كلا ، فانه قبل أن يجلس صرح له بانه غير مستحق ، ولذلك لا يســـتحق الدخول •

ولم يقل : « لماذا جلست لتأكل » بل قال : « لماذا دخلت ؟ » وهذه هى الكلمات التى يوجهها فى هذه اللحظة لكل الواقفين هنا بوقاحة وبدون خجل • لأن كل من لا يشترك فى الاسرار انما هو واقف هنا بوقاحة وبدون خجل • لهذا السبب يخرج أولا الخطاة • وكمـا انه اذا جلس ســيد على مائدته وجب على الخدم الذين أساءوا اليه أن لا يوجدوا على المائدة ، بل يجب ابعادهم ، هكذا الحال هنا عندما يؤتى بالذبيحة ، ويذبح المسيح رب الخراف • وعندما تسمع الكلمات : « فلنصل معا » ، وعندما ترى الستائر قد رفعت ، فاعلم بان السماوات قد نزلت من فوق ، وأن الملائكة نازلة •

اذن لا يليق بان يكون أى واحد من غير المؤهلين حاضرا ، كذلك يجب أن لا يكون حاضرا أى واحد من المؤهلين ان كان فى نفس الوقت دنســا • افرض أن أى واحد دعى الى وليمة ، وكان يجب أن يغسل يديه ، لكنه دخل ، وكل شىء معد على المائدة ، وبعد كل هذا رفض الاشتراك فى تناول الطعام • ألست ترى أنه قد أهان ذاك الذى دعاه ؟ الم يكن خيرا له ان لا يحضر قط ؟

بهذه الطريقة أنت دخلت هنا • لقد رنمت الترنيمة (٢) مع الباقين • لقــد أعلنت بانك من عداد المســتحقين ، وذلك بعــدم خروجك مع غير المستحقين • فلماذا بقيت دون أن تشترك فى المائدة ؟ قد تقول : « أنا غير مستحق » • اذن فانت غير مستحق للصلوات التى اشتركت فيها • فالروح القدس لا ينزل بمجرد التقدمات فقط ، بل أيضا بتلك التسابيح • ألسنا نرى خدمنا ينظفون أولا المائدة بالاسفنجة ، وينظفون البيت ، وبعد ذلك يعدون الوليمة ؟ هذا ما يتم بالصلوات وبصياح الشمامسة • ونحن ننظف الكنيسة ، كما باسفنجة ، لكى يهيأ كل شىء فى كنيسة نظيفة « لا دنس فيها ولا غضن » (أف ٥ : ٢٧) •

الواقع ان أعيننا غير مستحقة لهذه المنـــاظر ، وآذاننا غير مســتحقة كذلك • لقد قيل : « اذا مست الجبل بهيمة ترجم رجما » (خر ١٩ : ١٣) •

(٢) تسبحة الملائكة : قدوس قدوس قدوس •

هكذا لم يكونوا مستحقين أن يطأوها باقدامهم • ومع ذلك اقتربوا ، ورأوا أين يقف الله • وأنت قد تقترب بعدئذ وتنظر • فخليق بك ان تنصرف عندما تراه موجودا • لأنه غير مسموح لك بان تكون هنا ، كما انه غير مسموح للموعوظين • كان خيرا لك أن لا تقترب من الأسرار ، واذ اقتربت تعثرت بها ، واحتقرتها ، وجعلت نفسك غير مستحق لها • يستطيع المرء ان يفتح أبوابا أخرى ، وهى أكثر رعبا • لكننا نكتفى بهذا لئلا نثقل ذهنك • والذين لا يكفيهم هذا لاعادتهم الى صوابهم فانهم يقينا لن يجديهم ما هو أكثر من هذا •

ولكى لا أكون سببا فى زيادة دينونتك أتوسل اليك أن لا تمتنع عن المجئ ، بل أجعل نفسك مستحقا للحضور ومستحقا للاقتراب • قل لى ، لو أن ملكا أصدر أمرا وقال : « ان فعل أى واحد هذا فليشترك فى مائدتى » ألا تبذل كل ما فى استطاعتك لكى يمكن أن تصير ضمن المصرح لهم بالدخول ؟ لقد دعانا الله الى السماء ، الى مائدة الملك العظيم العجيب • فهل نتراجع ونتردد بدلا من ان نسرع ونركض اليها ؟ واذن ، أى رجاء لنا فى الخلاص ؟ نحن لا نستطيع ان نضع اللوم على ضعفنا ، أو على طبيعتنا • فالسبب الوحيد الذى يجعلنا غير مستحقين هو البلادة والتراخى •

الى هنا تحدثت من تلقاء نفسى • فليت الله الذى ينخس القلوب ، ويعطى روح التأنيب ، ينخس قلوبكم ، ويغرس البذار فى أعماقها ، وهكذا بخوفه تدركون روح الخلاص ، وتقتربون بجرأة • لأنه قيل : « بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك » (مز ١٢٨ : ٣) • اذن ، ليته لا يبقى شئ عتيق ، أو شئ برى ، أو شئ خشن • لأن هذه هى أصل النباتات الرخصة ، التى تليق بالثمار ، الثمار الجميلة ، أى ثمار شجرة الزيتون • واذ تزدهر تكون كلها حول المائدة ، وتجتمع كلها هنا ، لا عبثا أو بالمصادفة ، بل بخوف ووقار • لأنكم هكذا بجسارة ترون المسيح نفسه فى السماء ، وتحسبون مستحقين لملكوت السماوات ، التى نبتهل الى الله أن يهبنا اياها ، فى يسوع المسيح ، ربنا ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس ، المجد والقوة والكرامة الآن والى دهر الدهور • آمين •

العظة الرابعة

(ص ٢ : ١ – ٣)

« وأنتم ، اذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا ، التى سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ، الذين نحن أيضا جميعا تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا ، عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا » ٠

نحن نعلم أن هنالك موتا جسديا ، وهنالك موتا روحيا ٠ أما عن الأول فانه لا توجد أية جريمة ان اشتركنا فيه ، ولا يوجد خطر فيه ، طالما لم يكن هنالك لوم لاصق به ، لأنه أمر طبيعى ، وليس لنا أى مجال لتختاره بارادتنا ٠ ومصدره هو مخالفة الانسان الأول ، ومن هناك انتقل الى الطبيعة ٠ وفى كل الحالات ينتهى سريعا ٠

أما الموت الروحى ، فانه يقترن بالجريمة ، وليست له نهاية ، لأنه يتم باختيارنا ٠ لاحظ كيف أن بولس الرسول ، بعد أن بين شناعته ، وأظهر أن احياء نفس ميتة أشق من احياء شخص ميت كشف هنا عن شناعته الحقيقية ٠

ها هو يقول : « وأنتم اذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا ، التى سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » ٠ أنتم تلاحظون رقة بولس ، وكيف كان فى كل المناسبات يشجع المستمع ، ولا يقسو عليه ٠ فمع أنه قال لهم : انكم قد وصلتم الى أقصى درجات الشر (وهذا هو معنى انهم صاروا أمواتا) ، فلكى لا يسبب لهم الحزن الشديد (لأن الناس يخجلون عندما تفضح أعمالهم الشريرة السابقة ، حتى وان كانت قد غفرت ، ولم يعد من ورائها أى خطر) قال لهم ان لهم شريكا فى الجريمة ، لكى يذكروا أن شرورهم لا تعزى لهم فقط ، بل لشريكهم فى الجريمة ، وهذا الشريك قوى ٠ ومن هو هذا الشريك ؟ هو ابليس ٠

وهذا ما فعله أيضا فى الرسالة الى أهل كورنثوس ٠ فبعد أن قال : « لا تضلوا ، لازناة ، ولا عبدة أوثان » (١ كو ٦ : ٩) ، وبعد أن عدد كل

الرذائل الأخرى ، وقال فى الختام « لا يرثون ملكوت الله » ، أضاف هـذه الكلمات : « وهكذا كان أناس منكم » لم يقل بصفة جازمة : « كنتم كلكم » ، بل « كان أناس منكم » ، أى كنتم أنتم هكذا الى حد ما ٠

وهنا يهاجمنا الهراطقة ، اذ يقولون لنا ان هذا التعبير « رئيس سلطان الهواء الخ » يشير الى الله ، ويطلقون العنان للسانهم المنفلت ، ويطبقون هذا الكلام على الله ، مع أنه لا يشير الا الى ابليس وحده ٠

وكيف يمكننا أن نخرسهم ؟ بنفس الكلمات التى يستخدمونها هم ٠ لأنه ان كان الله بارا ، كما يصرحون هم أنفسهم ، ومع ذلك أرتكب هـذه القبائح ، فهذه لا تليق بكائن بار ، بل بكائن فاسد ، وحاشا لله أن يكون فاسدا ٠

وأيضا : لماذا قال عن ابليس انه « رئيس » العالم ؟ لأن كل الجنس البشرى تقريبا سلموا أنفسهم له ، والكل صـاروا عبيدا له باختيـارهم ورغبتهم ٠ أما المسيح فلم يصغ له أى واحد ، رغم أنه وعـدهم ببركات لا حصر لها ٠ بينما خضع الجميع للشيطان رغم انه لم يعدهم باى شىء من هذا القبيل ٠ اذن فمملكته من هذا العالم ، وله أتباع ـ باستثناءات قليلة ـ أكثر من أتباع الله ، وأكثر خضوعا له ، وذلك بسبب كسلنـا وبلادتنـا وتراخينا ٠

وقال : « حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح » ٠

هنا أيضا يقصد الشيطان الذى يحتل الهواء تحت السماء ، كمـا يقصد أن القوات غير الجسدية هى أرواح الهواء ، التى تحت سـلطانه ٠ فان مملكته هى من هذا الدهر ، أى ستبطل مع هذا الدهر ٠ واصـغ الى ما قاله فى نهاية الرسالة : « فان مصارعتنا ليست مع لحم ودم ، بل مع الرؤساء مع السلطات مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر » (أف ٦ : ١٢) ٠ ولئلا تقول ـ عندما تسمع عن ولاة العالم ـ ان ابليس غير مخلوق ، قال فى موضع آخر (غل ١ : ٤) عن العصر الفاسد انه « العالم الحاضر الشرير » ، وهذا ليس من المخلوقات ٠ لأنه يبدو لى أنه ـ اذ كان له سـلطان تحت السماء ـ لم يتحرر من سلطانه حتى بعد المعصية ٠

وقال أيضا : « الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » ٠

وهنا نلاحظ أنه لا يجذبنا الى نفسه بالقـوة ، أو بالارغـام ، بل بالاقناع ٠ فالكلمة المستخدمة هنا « المعصية » أى عدم الطاعة ٠ كأنه أراد

أن يقول انه يجذب كل اتباعه لنفسه بالخداع والاقنـــاع • وهو لم يعطهم فقط كلمة تشجيع بان يقول لهم ان لهم رفيقا ، بل بين لهم أنه هو نفسه يحسب من زمرتهم ، اذ قال :

« الذين نحن أيضا جميعا تصرفنا قبلا »

« جميعا » لأنه لم يكن ممكنا أن يقـــول ان أى واحد قد استثنى

« فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا » •

أى بدون عواطف روحية • ومع ذلك ، فلكى لا يفترى على الجسد ، أو لكى لا يظن بان المعصية لم تكن شديدة فلاحظ كيف احتاط للأمر :
فقال : « عاملين مشيئات الجسد والأفكار » •

أى الشهوات المبهجة • كأنه قد قال : اننا أغضبنا الله ، وكنا غضبا • لأنه كما ان المولود من الانسان يدعى بالطبيعة انسانا ، هكذا كنا نحن أيضا « أبناء الغضب » • لم يبق أى واحد خاليا ، لكننا جميعا ارتكبنا ما يستحق الغضب •

ع ٤. « الله الذى هو غنى فى الرحمة » •

ليس الله رحيما فقط ، بل هو غنى فى الرحمة • كما قيل فى موضع آخر : « ككثرة مراحمك التفت الى » (مز ٦٩ : ١٦) • وقيل أيضــا : « أرحمــنى يا الله حسب رحمتك ، حسب كثرة رأفتك امح معــاصى » (مز ٥١ : ١) •

ع ٤. « من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها » •

ولماذا أحبنا ؟ لأن هذه الأمور لم تكن مستحقة المحبة ، بل الغضب ، والقصاص القاسى • ولذلك كان يجب أن تظهر الرحمة الغنية •

ع ٥. « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » •

وهنا أيضا ذكر المسيح • وهذا موضوع يستحق منا الايمان ، لأنه اذا كانت الباكورة حية فنحن أيضا أحياء • فالله قد أحيا المسيح واحيانا • ألست ترى أن هذا كله قيل عن المسيح المتجسد ؟ ألست ترى « عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين ؟ » (اف ١ : ١٩) • لقد أحيــا الذين كانوا أمواتا ، وأبناء الغضب • لاحظ « رجاء دعوته » ع ١٨ •

ع ٦. « واقامنا معه ، وأجلسنا معه » .

ألست ترى مجد ميراثه ؟ واضح انه « أقامنا معه » . لكن كيف يتفق هذا مع ما قاله انه « أجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع » ؟ هذا صحيح كما هو صحيح أنه أقامنا معه . لأنه الى ذلك الوقت لم يكن أحد قد قام فعلا سوى انه اذ قام الرأس فنحن أيضا قمنا ، كما حدث فى التاريخ فانه عندما سجد يعقوب ليوسف قيل ان زوجته سجدت معه أيضا (تك ٣٧ : ٩ و ١٠) . وبنفس الطريقة « أجلسنا معه نحن أيضا » . فالرأس اذا جلست جلس معها الجسد أيضا . ولذلك أضاف هذه العبارة « فى المسيح يسوع » .

وان لم يكن هذا هو المعنى المقصود فقد يكون المعنى انه بجرن المعمودية « أقامنا معه » . وفى هذه الحالة كيف يمكن القول انه « أجلسنا معه ؟ » لأنه ، كما قال : « ان كنا نتألم (١) فسنملك أيضا معه » (٢ تى ٢ : ١٢) ، ان متنا معه فاننا نحيا أيضا معه . يقينا اننا فى حاجة الى الروح القدس والى روح الاعلان لكى نفهم عمق هذه الاسرار . ولكى لا يكون هنالك أى مجال للشك فى الأمر لاحظ ما أضافه فيما بعد .

ع ٧. « ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » .

لأنه اذ كان يتكلم عن الأمور المختصة بالمسيح ، وقد يظن بان هذه لا تخصنا (فقد يقال انه اذ قام فان هذا لا يخصنا) لذلك بين أن هذه تتصل بنا لأنه صار واحدا معنا . لقد بين بصفة خاصة ان هذا الأمر يخصنا . لأنه قال : « نحن الذين كنا أمواتا بالذنوب أقامنا معه وأجلسنا معه » .

لذلك — كما قلت — لا تكن غير مؤمن ، خذ الادلة التى استقاها من الحقائق السابقة ، ومن رغبته فى اظهار صلاحه . لأنه كيف يظهره لو لم يتم هذا ؟ وسوف يظهره « فى الدهور الآتية » . ما هذا ؟ سوف يظهر أن البركات عظيمة ، وأكثر يقينية من أى عصر آخر . ان الأمور التى سبق التحدث عنها قد تبدو لغير المؤمنين جهالة . لكن الجميع سوف يعرفونها .

هل تريد أن تدرك أيضا كيف أجلسنا معه ؟ استمع الى ما قاله المسيح نفسه للتلاميذ : « تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر » (مت ١٩ : ٢٨) . وقال أيضا : « أما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبى » (مت ٢٠ : ٢٣) . اذن فان هذا قد أعد .

(١) « نصبر » حسب ترجمة بيروت وترجمة اليسوعيين .

ولكى لا تدفعك عظمة البركة الممنوحة لك الى الانتفاخ لاحظ كيف أذلك بقوله « لانكم بالنعمة مخلصون » ، وقال أيضا ٠

« بالايمان » ٠

ومن الناحية الأخرى ، لكى لا يقل شأن حرية ارادتنا أضاف أيضا الواجب المفروض علينا فى هذا العمل ، وفى نفس الوقت الغاه ، وأضاف قائلا :

« وذلك ليس منكم » ٠

وهو يعنى أنه حتى الايمان ليس منا ٠ لأنه لو لم يكن قد أتى ، ولو لم يكن قد دعانا ، فكيف كان ممكنا لنا أن نؤمن ؟ وقال « كيف يؤمنون ان لم يسمعوا ؟ » (رو ١٠ : ١٤) ٠ وهكذا نرى أن عمل الايمان نفسه ليس منا ٠

وقال : « هو عطية الله » ، « ليس من أعمال » ع ٩.

ولعلك تقول : هل كان الايمان كافيا ليخلصنا ؟ كلا ٠ فالله تطلب هذا لئلا يخلصنا ونحن بدون أعمال قط ٠ وكلامه يعنى أن الايمـــان يخلص ، وذلك لان الله هكذا يريد أن الايمان يخلص ٠ لكن كيف يمكن أن الايمـان يخلص بدون أعمال ؟ هذا « هو عطية الله » ٠

ع ٩. « كى لا يفتخر أحد » ٠ ذلك لكى يثير فينا احساسا طيبا نحـــو عطية النعمة هذه ٠ وقد يقـــول قائل : « وماذا اذن ؟ هل الله نفسه منع أن نتبرر بالاعمال ؟ » كلا ٠ فقد قال انه لن يتبرر أحد بالأعمال لكى يظهر الله نعمته ومحبته ٠ انه لم يرفضنا لأن لدينا أعمالا ، لكنه خلصنا بالنعمة على أساس أنه ليس لنا أعمال ، لكى لا يكون للانسان ما يفتخر به ٠ ولذلك ، فلكى لا تتكاسل عن الاعمال عندما تسمع أن الأمر كله لا يتم بالاعمال بل بالايمان ، لاحظ كيف استمر فى حديثه :

ع ١٠. « لاننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لاعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » ٠

لاحظ الكلمات التى استخدمها ٠ فانه هنا يشير الى التجديد ، الذى هو فى الحقيقة خلقة جديدة ٠ اننا قد أوجدنا من العدم الى الوجود ٠ وفيما يختص بما كنا عليه سابقا ، أى الانسان العتيق ، فنحن أموات ٠ وأما فيما يختص بما وصلنا اليه الآن ، فاننا لم نكن فيما قبل ٠ فيقينا ان هذا العمل يعتبر خلقة ، بل انه أكثر نبلا من قبل لاننا من النـــاحية الأولى نستمد وجودنا ، ومن الناحية الأخيرة نستمد خيرنا أول كل شىء ، وفوق كل شىء ٠

« لا عمال صالحة قد سبق الله فاعدها لكى نسلك فيها » ٠

ليس فقط لكى نبدأ ، بل لكى نسلك فيها ٠ لاننا نحتاج الى قوة تبقى معنا الى النهاية ، وتستمر معنا الى يوم الممات ٠ ان كان لا بد لنا أن نجتاز طريقا يؤدى الى مدينة ملكية ، وبعد أن نكون قد اجتزنا الجزء الأكبر منه نتراخى ونتكاسل ، ونجلس قرب نهايته ، فان تعبنا الماضى كله لا يفيدنا ٠ لان رجاء دعوتنا هو « الاعمال الصالحة » ٠ والا فلا يفيدنا هذا الطريق شيئا ٠

مغزى أدبى

وهكذا نراه هنا لا يفرح لاننا اتممنا عملا واحدا ، بل كل الاعمال ٠ فكما أن لنا خمس حواس ، ويجب أن نستخدمها كلها فى أوقاتها المناسبة ، كذلك يجب أن نستخدم أيضا كل مواهبنا ٠ فاذا كان انسان عفيفا لكنه غير رحيم ، وان كان رحيما لكنه بخيل ، وان كان لا يمس أموال غيره لكنه لا يعطى من ماله ، فان ذلك كله لا فائدة منه ٠ لان فضيلة واحدة لا تكفى لكى تجعلنا نقف بدالة أمام كرسى الدينونة الذى للمسيح ٠ فنحن مطالبون بان تكون الفضيلة متعددة الجوانب ، وكاملة ٠

استمع الى ما قاله المسيح للتلاميذ : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩) ٠ وقال أيضا : « فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات » (مت ٥ : ١٩) أى فى قيامة الأموات ، بل انه لا يدخل الملكوت ، لأنه اعتاد أن يقول عن وقت القيامة من الأموات انه هو الملكوت ٠ « من نقض واحدة ٠٠٠ يدعى أصغر » ، اذن فنحن فى حاجة الى كل الوصايا ٠

ولاحظ أننا لا يمكننا الدخول بدون أعمال الرحمة ، وان لم تتوفر هذه ذهبنا الى النار الابدية ٠ لأنه يقول : « اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته » ٠ ولماذا ، ولأى سبب ؟ « لانى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى » (مت ٢٥ : ٤١ و ٤٢) ٠

لاحظ اذن كيف انهم هلكوا بسبب هذه التهمة الوحيدة دون غيرها ٠ ولهذا السبب الوحيد أيضا حرم العذارى الجاهلات من الدخول الى العرس رغم انهن كن متصفات بالعفة ٠

والرسول يقول : « والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) ٠

لاحظ اذن انه بدون العفة لن يرى أحد الرب ٠ ومع ذلك فلا يستنتج

من هذا أنه من الممكن أن نراه لمجرد العفة ، لانه قد يكون هنالك مانع فى الطريق . وأيضا ان فعلنا كل شيء باستقامة ، لكننا امتنعنا عن أن نقدم خدمة لاخينا فاننا فى هذه الحالة لن ندخل الملكوت .

ومن أين نتعلم هذا ؟ من مثل العبيد الذين أؤتمنوا على الوزنات . ففضيلة هذا الانسان كانت بلا لوم من كل النواحى ، وكان لا ينقصه شيء . لكن لانه كان متكاسلا فى عمله فقد طرح خارجا بعدل . نعم ، فالمرء قد يطرح فى جهنم بسبب التعنيف فقط . قال المسيح : « من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » (مت ٥ : ٢٢) . وان كان الانسان مستقيما فى كل شيء ، لكنه مؤذ ، فانه لن يدخل .

ولا ينسبن أحد القسوة لله اذ لا يدخل ملكوت السماوات من يسقطون فى هذه الناحية . لانه — حتى بين البشر — اذا ارتكب أى انسان أمرا مخالفا للقوانين فانه يبعد من حضرة الملك . واذا تعدى أحد القوانين الرئيسية ، كأن يوجه تهمة كاذبة لغيره ، فانه يطرد من وظيفته . واذا ارتكب خطية الزنى ، واكتشف أمره فانه يهلك ، حتى وان كان قد فعل عشرة آلاف عمل صالح . وان ارتكب خطية القتل ، وحكم بادانته ، فان هذا يكفى للحكم عليه بالهلاك .

وان كانت قوانين البشر تحترم هكذا بكل حرص فبالأولى جدا شرائع الله . قد يقول قائل : « لكنه صالح » والى متى نقول هذا الكلام الاحمق ؟ أقول « أحمق » ، ليس لأنه غير صالح ، بل لاننا نستمر فى التفكير بان صلاح الله يفيدنا فى هذه الأغراض ، رغم أننى استخدمت مرارا عشرات الالوف من الحجج فى هذا الموضوع . استمع الى الكتاب المقدس اذ يقول : « لا تقل انه يتجاوز عن كثرة ذنوبى لان رأفته كثيرة » (حكمة يشوع بن سيراخ ٥ : ٦) .

انه لا يمنعنا من القول « ان رأفته كثيرة » . ليس هذا هو ما يأمرنا به . لكنه بالحرى يريدنا أن نردد هذا بصفة مستمرة ، ولهذا الغرض أقام الرسول بولس كل أنواع الحجج ، لكن كان هذا هو هدفه : لا تعجب بمحبة الله وعطفه لكى تتخذ من هذا حجة لتخطيء وتقول « ان رأفته تجعله يتجاوز عن كثرة ذنوبى » . ولهذا الغرض أيضا أنا أكثر التحدث عن صلاح الله ، ليس لكى نتعدى عليه ، ونفعل كل ما نريد ، ففى هذه الحالة يكون هذا الصلاح هادما لخلاصنا ، لكن لكى لا نيأس من خلاصنا ، بل لكى نتوب . فان « صلاح الله انما يقتادك الى التوبة » (رو ٢ : ٤) ، وليس لكى تتوغل فى الشر . وان فسدت أخلاقك بسبب صلاحه فانك تكذبه أمام الناس .

اننى أرى أشخاصا كثيرين يفترون هكذا على امهال الله • ولذلك فانك ان أسأت التصرف بازائه تحملت القصاص •

وهل الله اله محب عطوف ؟ نعم ، لكنه أيضا ديان عادل • هل هو يصفح عن الخطايا ؟ نعم ، لكنه يعطى كل واحد حسب أعماله • هل هو يتجاوز عن الاثم ، ويمحو تعدياتنا ؟ نعم ، لكنه أيضا يستجوبنا • اذن فكيف تكون هذه المتناقضات ؟ اذا بحثنا الأمور بحسب أوقاتها وجدنا أنه لا توجد متناقضات • فهو يغفر الأثم هنا بجرن المعمودية ، وبالتوبة • أما هناك فانه يستجوبنا عما فعلنا ، وذلك بالنار والتعذيب •

وقد يقول قائل : « اذن ان كنت سوف أخرج خارجا ، وأحرم من الملكوت ، سواء ارتكبت عشرة آلاف شر ، أو شرا واحدا فلماذا لا أرتكب كل أنواع الاعمال الشريرة ؟ » هذا هو تعليل العبد غير الشاكر • ومع ذلك فسوف نتقدم لحل هذه المشكلة أيضا • لا ترتكب شرا قط وأنت تريد أن تفعل لنفسك خيرا • لاننا كلنا سوف نحرم من الملكوت ، وأن كنا كلنا سوف نحرم من الملكوت ، الا أننا فى جهنم سوف لا نلقى كلنا نفس القصاص ، بل البعض يلقون القصاص الاشد ، ويلقى غيرهم قصاصا أخف • وان كنت قد استهنت بلطف الله أنت وغيرك (رو ٢ : ٤) ، الواحد مرات كثيرة ، والثانى مرات قليلة ، فانكما تحرمان من الملكوت بالتساوى • أما ان كان قد استهان بدرجة شنيعة ، والآخر بدرجة أخف ، فأنكما ستحسان بالفرق فى جهنم •

وقد يقول قائل : لماذا اذن يهدد من لم يعملوا أعمال الرحمة بالطرح فى النار ، وليس ذلك فحسب بل النار « المعدة لابليس وملائكته ؟ » (مت ٢٥ : ٤١) • لماذا هذا ؟ ولاى سبب ؟ لانه لا يغضب الله مثل هذا فأنه جعل هذا فى مقدمة كل الخطايا الشنيعة • لانه ان كان الواجب يقضى علينا أن نحب أعداءنا فاى قصاص لا يستحقه من يتحول عمن يحبه ، وعلى هذا الأساس يكون أشر من الوثنيين ؟ فى هذه الحالة تكون شناعة الخطية سببا فى ابعاد شخص كهذا مع ابليس •

قيل : ويل لمن لا يقدم صدقة • وان كان هذا هو الحال فى العهد القديم فكم يكون الحال فى العهد الجديد ؟ وان كان قد سمح باقتناء الثروة ، والتمتع بها ، والعناية بها ، وفى نفس الوقت اشترط بالعناية بالفقراء ، فبالأولى جدا صدر الأمر لنا فى العهد الجديد أن نسلم لله كل ما نملك • وما الذى لم يعمله البشر فى العهد القديم ؟ لقد كانوا يقدمون العشور ، وفوق العشور ، للايتام ، والأرامل ، والغرباء •

قال لى أحدهم – مندهشا من تصرف شخص آخر – « لماذا يقدم هذا الشخص العشور ؟ » يا للعار الذى ينطوى تحت هذا السؤال ؟ فان ما كان لا يدعو للدهشة عند اليهود أصبح هكذا عند المسيحيين • ان كان هنالك خطر فى عدم تقديم العشور فى العهد القديم فما أشد هذا الخطر الان •

وأيضا : السكيرون لايرثون الملكوت • وما هو منطق أغلب الشعب الآن ؟ « ان كنت ألقى نفس المصير مع السكير فاية راحة أجدها ؟ » • وماذا بعد ؟ أول كل شيء لكى لا تحصد أنت وهو نفس القصاص • والا فلن يجد أحدكما راحة • الشركة فى الآلام فيها شيء من الراحة ، عندما يكـــون القصاص يتناسب مع الخطية • لكنه ان تعدى كل نسبة ، وحمل كل واحد وراء حدوده ، فلن يجد أى واحد فينا أية راحة قط • أما ان قلت للمتألم ، الذى يجتاز لهب النيران انه يلقى نفس القصاص ، فانه لن يحس بالراحة • ألم يهلك كل الاسرائيليين معا ؟ أية راحة وجدوها فى هذا ؟ ألم يجـدوا ضيقا شديدا ؟ وهذا هو الذى جعلهم يقولون دواما : لقد تلفنا ، لقد هلكنا ، لقد فنينا • أى نوع من الراحة فى هذا ؟ عبثا نعزى أنفسنا باى رجاء • هنالك راحة واحدة ، هى تجنب السقوط فى تلك النار التى لا تطفأ • أما من سقط فيها فلا يمكن أن يجـــد راحة ، بل فيها صرير الاسنان ، حيث البكاء ، وحيث الدود الذى لا يموت ، والنار التى لا تطفأ • قل لى : هل تجد أية راحة عندما تكون فى ضيقة شديدة وحزن مرير ؟ هل يمكنك أن تتمالك نفسك ؟

أتوسل اليك أن لا يخدع أحد منا نفسه باطلا ، أو يعـــزى نفسه بحجج كهذه • بل لنمارس تلك الفضائل التى تعيننا على خلاص نفوسنا • ان الموضوع الذى أمامنا الآن هو أن تجلس مع المسيح • فهل أنت تستهين بهذه الأمور ؟ ان لم تكن هنالك خطية أخرى قط فاى قصاص شديد يجب أن نتوقعه من أجل هذا الكلام نفسه لاننـا اذ نتكلم هكـــذا صرنا عديمى الاحساس ، وبؤساء ، وبلداء ، حتى ونحن نجد امتيازا عظيما كهذا ؟ وأى بكاء شديد يجب أن تبكيه عندما تفكر فى الذين صنعوا الخير ؟ عندما تنظر العبيد والمرذولين الذين لم يتعبوا هنا الا قليلا قد صاروا هناك شركاء فى العرش الملوكى ، ألا تجد فى هذا عذابا شديدا لنفسك ؟

لانك عندما ترى الآن شخصا ذا سمعة طيبة ، وأنت لم ترتكب شرا فانك ترى هذا أشر من أى قصاص • وهذا يدفعك الى البكاء والعـــويل ، وتعتبره موتا مضاعفا عشرة آلاف مرة • وأية آلام تحتملها وقتئذ ؟ وحتى لو لم تكن هنالك جهنم مطلقا ألا يعتبر مجرد التفكير فى الملكوت كافيـــا

لابادتك وهلاكك ؟ وفى هذه الحالة يكون لنا ما يكفى لتعليمنا من اختبارنا للأمور ٠

فعلينا اذن أن لا نملق أنفسنا باطلا بكلام كهذا ٠ بل لنتنبه ، ولنحرص على خلاصنا ، لنهتم بالفضيلة ، لنحث أنفسنا على ممارسة الأعمال الصالحة ، لكى نحسب مستحقين لننال هذا المجد الفائق فى يسوع المسيح ربنا ، الذى يليق له وللآب والروح القدس المجد ، والقوة ، والكرامة من الان والى دهر الدهور ، آمين ٠

العظة الخامسة

(ص ٢ : ١١ و ١٢)

« لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعا باليد فى الجسد ، أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية اسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم ، وبلا اله فى العالم »

هنالك أشياء كثيرة تبين محبة الله وعطفه • أولا انه بنفسه خلصنا ، وبنفسه خلصنا بطريقة كهذه • وثانيا انه خلصنا رغم الحالة التى كنا فيها • وثالثا انه رفعنا الى المركز الذى وصلنا اليه الان • وهذه كلها تتضمن فى نفسها أعظم مظاهر محبته وعطفه ، وهى نفس المواضيع التى أثارها الرسول الآن فى هذه الرسالة • لقد سبق أن قال اننا اذ كنا أمواتا بالذنوب ، أبناء الغضب ، خلصنا • والآن يستمر فى الكلام ويحدثنا عن الذين سوانا بهم •

لقد قال : « لذلك اذكروا » • لأنه جرت العادة معنا كلنا ، عندما نرفع من حالة وضيعة الى كرامة أعظم فاننا لا نعود نذكر حالتنا السابقة ، لأن مجدنا الجديد يطغى عليها • لهذا السبب قال « لذلك اذكروا » •

« لذلك » أو « لماذا ؟ » لاننا خلقنا لاعمال صالحة ، وهذا يكفى ليحثنا على التحلى بالفضيلة •

« اذكروا » وهذا التذكر يكفى ليجعلنا شاكرين للمحسن الينا • « أنكم كنتم سابقا الأمم » أو وثنيين • لاحظ كيف انه حط من شأن امتيازات اليهود السامية ، ورفع من شأن مساوىء الأمم • انها فى الواقع لم تكن مساوىء • لكنه ناقش كل طرف بما يتناسب مع أخلاقه وصفاته وطريقته فى الحياة •

« المدعوين غرلة » • اذن فقد كانت كرامة اليهود فى مجرد أسماء ، كان امتيازهم فى اللحم • لأن الغرلة لا شىء ، والختان لا شىء •

وقال « المدعو ختانا ، مصنوعا باليد فى الجسد ، انكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية اسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم ، وبلا اله فى العالم » •

أى أنتم الذين دعاكم اليهود . ولما كان موشكا أن يبين ان البركة التى منحت لهم كانت تتضمن فى هذا ، أى فى أن لهم علاقة باسرائيل ، فلماذا حقر من شأن الامتيازات الاسرائيلية ؟ انه لم يحقر من شأنها . انه عظم من شأنها فى نواح رئيسية . لكنه حقر من شأنها فى هذه النواحى : انهم لم تكن لهم شركة . لأنه قال فيما بعد « انكم رعية مع القديسين وأهل بيت الله » ع ١٩ .

لاحظ كيف كان الرسول أبعد من أن يحقر من شأنهم . لقد قال ان هذه النواحى قليلة الأهمية . لا تظنوا قط أنكم اذ كنتم غير مختونين فانكم محتقرون . كلا ، فالسبب الرئيسى هو انكم « بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية اسرائيل » . أما هذا الختان فانه ليس الرعوية .

وأيضا كونكم « غرباء عن عهود الموعد ، ولا رجاء لكم ، وبلا اله فى العالم » – هذه كلها كانت نواحى من حياتكم . لقد كان يتحدث عن السماويات ، وتحدث أيضا عن الأرضيات ، طالما كان اليهود كثيرى التفكير فيها . هكذا المسيح أيضا ، بعد أن عزى تلاميذه قائلا : « طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السماوات » أضاف ناحية من التعزية أقل أهمية ، وقال : « فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم » (مت ٥ : ١٠–١٢) . هذه التعزية ، بالمقارنة مع تلك ، أقل بكثير . لكنها لا زالت عظيمة وجوهرية ولها قوتها الكثيرة . اذن فهذا هو الاشتراك فى الرعوية .

والرسول لم يقل انهم معزولون ، بل « أجنبيون عن رعوية اسرائيل » ، أى ليس لكم أى نصيب فى هذه الرعوية . والتعبير قوى جدا يدل على أن الفرز لمسافة بعيدة جدا . فالاسرائيليون أنفسهم كانوا خارج هذه الرعوية ، لا كغرباء ، بل لأنهم لم يبالوا بها ، فسقطوا عن العهود ، لا كأجنبيين ، بل كغير مستحقين لها .

ولكن ما هى « عهود الموعد » هذه ؟ قال الله : « وأعطى لك ولنسلك هذه الأرض » (تك ١٧ : ٨) ، وهنالك مواعيد أخرى وعدهم بها .

واذ قال « لا رجاء لكم » أضاف قائلا : « وبلا اله » . ومع انهم عبدوا آلهة كثيرة الا أن هذه لم تكن آلهة ، لان « الوثن لا شىء » (١ كو ١٠ : ١٩)

ع ١٣–١٥ . « ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح . لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط . اذ أبطل العداوة بجسده » .

وقد يقول قائل : اذن هل هذا هو الامتياز العظيم اننا قبلنا فى رعوية اليهود ؟ ماذا نقول ؟ لقد أحصى كل ما فى السماء وكل ما على الأرض ، وتحدثنا أنت الان عن الاسرائيليين ؟ قد يجيب قائلا « نعم » . يجب أن ندرك هذه الامتيازات السامية بالايمان .

ثم يقول « ولكن الان ، فى المسيح يسوع ، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين » بالنسبة للرعوية . لأن البعد والقرب يتمان بالرغبة والاختيار فقط .

« لأنه هو سلامنا ، الذى جعل الاثنين واحدا » .

ما هذا ؟ جعلهما واحدا ؟ لم يقصد أن يقول بانه أقامنا الى مركزهم الوضيع ، بل أقامنا واياهم الى مركز أسمى . لكن البركة لنا أعظم ، لأن الوعد كان لاولئك ، وهم كانوا أقرب منا . أما نحن فلم يعط لنا أى وعد ، ونحن كنا أبعد منهم جدا . لهذا قال : « وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة » (رو ١٥ : ٩) . لقد أعطى الوعد فعلا للاسرائيليين ، لكنهم لم يكونوا يستحقونه . اما نحن فلم يعط لنا وعد ، بل كنا غرباء ، هنالك شىء اشتركنا فيه معا . ومع ذلك جعلنا واحدا ، ليس باتحادنا معهم ، بل باتحادنا واياهم معا لنصير واحدا .

وساقدم لكم مثالا . هب أن هنالك تمثالان ، الواحد من فضة ، والآخر من رصاص . وأذيب الاثنان معا ، فصار الاثنان من ذهب . هكذا جعل المسيح الاثنين واحدا .

خذ مثلا آخر . هب أن هنالك شخصين ، واحد عبد ، والآخر ابن بالتبنى . وهب أن الاثنين اذنبا لله . فصار الواحد ابنا محروما من الميراث ، والآخر شريدا ، لا يعرف له أبا قط . وهب أن الاثنين صارا وراثين ابنين حقيقيين . تأمل ، لقد رفع الاثنان الى نفس الكرامة ، وصار الاثنان واحدا ، الواحد أتى من مسافة أطول ، والآخر من مسافة أقرب ، والعبد صار أكثر نبلا مما كان قبل أن يذنب .

ثم أكمل كلامه قائلا : « ونقض حائط السياج المتوسط »

وفسر المعنى المقصود بحائط السياج المتوسط بقوله : « أى العداوة التى أبطلها بجسده ، ناموس الوصايا فى فرائض » يؤكد البعض أن الرسول يعنى الحائط الذى كان بين اليهود واليونانيين ، لانه لم يكن يسمح لليهود بالاختلاط مع اليونانيين .

ويبدو لى أن هذا لم يكن هو المعنى المقصود ، لكنه بالاحرى دعاها

« العداوة فى الجسد » ، حائط متوسط ، وهو حاجز مشترك يفصلنا كلنا بالتساوى عن الله ، ويقول النبى : « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبينى » (اش ٥٩ : ٢) وتلك العداوة التى كانت قائمة بين الله وبين اليهود والأمم كانت حائطا متوسطا ٠ وطالما كان الناموس قائما فلم يقتصر الامر على أن هذا الحائط لم ينقض ، بل بالحرى تدعم ، فالرسول يقول « لأن الناموس ينشىء غضبا » (رو ٤ : ١٥) ٠

وكما انه ـ بنفس الطريقة ـ عندما قال فى تلك الفقرة ان « الناموس ينشىء غضبا » لم ينسب كل هذا التأثير للناموس نفسه ، بل يجب أن يكون مفهوما أن السبب هو اننا تعديناه ، هكذا أيضا ـ فى هذا المجال ـ دعاه « حائط السياج المتوسط » ، لأنه أنشأ عداوة بسبب عدم اطاعته ٠

كان الناموس سياجا ، لكن ذلك كان للضمان والحماية ، لذلك دعى « سياجا » ، لكى يحيط بما يراد سلامته ٠ استمع أيضا الى النبى اذ يقول : « واقمت خندقا حوله » (اش ٥ : ٢) ٠ وأيضا « لقد هدمت سياجها (جدرانها) فيقطفها كل عابرى الطريق » (مز ٨٠ : ١٢) ٠ اذن فهى تعنى هنا الامان والحماية ٠ « أهدم جدرانه فيصير للدوس » (اش ٥ : ٥) ٠ وأيضا : « أعطاهم الناموس ليحميهم » (اش ٨ : ٢٠) ٠ وأيضا : « الرب يجرى العدل ويعرف اسرائيل طرقه » (مز ١٠٣ : ٦ و ٧) ٠

وعلى أى حال فقد صار الناموس حائطا متوسطا ، ولم يعد يحميهم ، بل فصلهم عن الله ٠ وهكذا من هذا السياج تكون الحائط المتوسط الفاصل ٠ ولكى يبين ما هو هذا الحائط المتوسط أضاف قائلا : انه « أبطل العداوة بجسده ، أى ناموس الوصايا » ٠

وكيف تم هذا ؟ بذبحه ، وبهذا قضى على العداوة ٠ وليس بهذه الطريقة فقط ، بل أيضا بحفظ الناموس ٠ لكن ان كنا قد تخلصنا من المعصية الأولى ، فلماذا نلزم ثانية بحفظ الناموس ؟ اذن فقد تكررت الحالة ثانية لأنه قد أبطل الناموس نفسه ٠ فهو يقول : « مبطلا ناموس الوصايا المتضمن فى فرائض » ٠ يا لمحبة الله وعطفه ٠ لقد أعطانا ناموسا لكى نحفظه ٠ واذ لم نحفظه وكنا نستحق القصاص ، فان الله نقض الناموس نفسه ٠

كأن انسانا سلم ولده لمعلم المدرسة ٠ فاذا ما صار ولدا عاصيا ، حرره حتى من معلم المدرسة ، وابعده بعيدا ٠ هذه محبة عظيمة وعطف زائد ٠ وما هو المقصود بهذه العبارة :

« أبطله بالفرائض ؟ »

لقد جعل فارقا شديدا بين الوصايا والفرائض · اما أن يكون قد قصد « الايمان » ودعاه « فرائض » (لأنه بالايمان وحده خلصنا) ، أو قصد ، وصية ، كالتى قدمها المسيح عندما قال : « أما أنا فاقول لكم : لا تغضبوا قط » (مت ٥ : ٢٢) · أى « ان آمنت أن الله أقامه من الأموات خلصت » (رو ١٠ : ٦ ـ ٩) · وأيضا : « الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك · فلا تقل فى قلبك من يصعد الى السماء ، أو ينزل الى الهاوية » · أو « من هو الذى أقامه من الاموات » · بدلا من نوع معين من الحياة قدم الله لنا الايمان · ولكى لا يخلصنا الله بلا هدف تحمل هو نفسه القصاص ، وأيضا طلب من البشر الايمان الذى بفرائض ·

« لكى يخلق الاثنين فى نفسه انسانا واحدا جديدا »

لاحظ بان الاممى لم يصبح يهوديا · بل ان هذا وذاك دخلا حالة جديدة · هذا لا يعنى أنه غير حياة الاخير فصار غير ما كان ، بل انه خلق الاثنين خلقة جديدة · وحسنا استخدم كلمة « خلق » فى كل المناسبات ، ولم يقل غير ، وذلك لكى يبين القوة التى استخدمها فيما فعل ، ويبين أنه رغما عن أن عملية الخلق غير منظورة ، فانها لا زالت خلقة ، وأننا يجب منذ الآن ، أن لا نتنازل عن هذا التعبير ·

« لكى يخلق الاثنين فى نفسه »

أى بنفسه · لم يعهد بهذه المهمة لآخر ، بل قام بها بنفسه · أذاب هذا وذاك ، وأخرج شخصية واحدة مجيدة ، أخرج خلقة أفضل من الخلقة الأولى · وهذا هو معنى « فى نفسه » هو نفسه أعطى أولا الرمز والمثال · أمسك اليهودى باليد الواحدة ، وأمسك الاممى باليد الاخرى ، وكان هو فى الوسط ، فمزجهما معا ، وقضى على الخلافات التى كانت بينهما ، وصورهما تصويرا جديدا من فوق بالنار والماء · لم يعد يستخدم الماء والتراب ، بل الماء والنار · صار المسيح يهوديا بالختان ، وصار لعنة ، وصار أمميا بدون الناموس ، وصار فوق الأمم واليهود ·

« انسانا واحدا جديدا ، صانعا سلاما »

سلاما لهما نحو الله ، ونحو بعضهما بعضا · لأنهما طالما بقيا يهودا وأمميين لم يكن ممكنا أن يصطلحا معا · ولو لم يكونوا قد تخلصوا من صفاتهم الأولى لما كان ممكنا أن يصلوا الى حالة أسمى · لان اليهودى لا يمكن أن يتحد بالاممى الا عندما يصير مؤمنا · هذا يشبه أناسا عائشين فى بيت واحد ، به غرفتان فى الطابق السفلى ، وغرفة فسيحة فى الطابق العلوى · فلا يمكن أن يرى الواحد الآخر الا اذا اجتمعوا فى الطابق العلوى ·

« صانعا سلاما » سيما نحو الله ، وهذا ما تبينه القرينة • لأنه ماذا قال ؟

ع ١٦. « ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب » •

لم يقل « يصالح » فقط ، بل يصالح صلحا كاملا ، كما تبين من الأصل اليونانى ، مبينا أن الطبيعة البشرية منذ ذلك الوقت قد صولحت بسهولة ، كما هو الحال مثلا فى أمر القديسين ، قبل عصر الناموس •

« فى جسد واحد » أى فى جسده ، « مع الله » أو « لله » وكيف يتم هذا ؟ يعنى بنفسه اذ تحمل العقوبة المستحقة •

« بالصليب ، قاتلا العداوة به »•

لا توجد كلمات حاسمة وقوية أكثر من هذه • فالرسول يقول ان موت المسيح قتل العداوة • لقد جرحها ، وقتلها ، ليس بتكليف أحد آخر للقيام بذلك ، وليس بما عمله فقط ، بل بما تألم به • وهو لم يقل « أذاب » بل « أبطل » ، وقال ما هو أقوى : « قتل » ، لكى لا تقوم ثانية • وكيف يمكن أن تقوم ثانية ؟ أى بسبب فسادنا المتزايد • لأننا طالما كنا ثابتين فى جسد المسيح ، ومتحدين به ، فان العداوة لا تقوم ثانية ، بل تبقى ميتة • تلك العداوة القديمة لن تقوم ثانية قط • أما اذا خلقنا عداوة أخرى ، فانها لن تكون من الله الذى أباد العداوة السابقة وقتلها • وتكون أنت بكل تأكيد هو الذى انشأت عداوة جديدة • لأنه يقول : « ان اهتمام الجسد هو عداوة لله » (رو ٨ : ٧) • ان كنا لا نهتم اهتماما جسديا فى أية ناحية فلا تنشأ عداوة جديدة ، بل يظل السلام قائما •

مغزى أدبى

وان كنا هكذا معرضين للسقوط ثانية فى العداوة فتأمل فى مقدار شناعة الشر لدرجة أن الله استخدم طرقا كثيرة ليصالحنا • وهذه العداوة لا تتطلب معمودية جديدة ، بل تنتظرها جهنم نفسها ، لا تتطلب مغفرة جديدة ، بل تمحيصا فاحصا •

ان اهتمام الجسد ترف وكسل وبلادة ، اهتمـــام الجسد طمع وكل أنواع الخطية • ولماذا قيل عنه انه اهتمام الجسد ؟ مع ان الجسد لا يقدر أن يفعل شـــيئا بدون النفس • انه لم يقل هـــذا تحقيرا للجسد • وبالأولى عندما يقول « الانســـان الطبيعى » (١ كو ٢ : ١٤) فانه لم يســتخدم هـــذا التعبير تحقيرا للنفس • لأنه ان كان الجسد ، أو النفس ذاتهـا ، لا يتقبلان قوة من فوق ، فانهما لا يستطيعان اتمام أى شىء عظيم أو نبيل •

ولذلك دعا التصرفات التي تتممها النفس من تلقاء ذاتها «تصرفات طبيعية» ، والتي يتممها الجسد من تلقاء ذاته « تصرفات جسدية » . ليس لأن هـــذه طبيعية ، بل لأنها تهلك ، اذ أنها لا تتقبل الارشاد من الســماء . هكذا الحال أيضا مع العين ، فانها صالحة ، لكنها بدون النور ترتكب أخطاء لا حصر لها . وهذا على أى حال ، يعزى لضعفها ، لا للطبيعة .

لو كانت الاخطاء طبيعية لما استعطنا قط أن نستخدمها استخداما مستقيما . لأن ما هو طبيعى لا يمكن أن يكون شريرا .

ولماذا اذن دعا العواطف الجسدية خطايا ؟ لأن الجسد اذا تعاظم وارتفع وأفلت منه الزمام أنشأ ربوات من المساوىء . ان فضـــيلة الجسد هى خضوعه للنفس ، ورذيلته هى تسلطه على النفس . الحصان يمكن أن يكون نافعا ورشيقا وخفيف الحركة ، لكن هذه الصفات لا تتوفر الا بوجود من يركبه ، هكذا أيضا الجسد لا يظهر صلاحه الا ان قطعت عنه ميوله الى الزهو والعظمة . وان كان الراكب خاليا من الذكاء فلن يظهر له وجود . بل انه يفعل الاذى بكيفية اشنع .

وفى كل الأحوال يجب أن يفسح المجال للروح لكى تعمـــل . واذا ما أعطى لها المجال فانها تمنح الراكب قوة جديدة . وهـــذا يهب جمالا للجسد والنفس . لأنه كما أن النفس لـــما تكون مقيمة فى الجسد تكسبه جمالا ، لكن ان تخلت عنه تركته خاليا من كل نواحى نشاطه . وهذا يشبه النقاش الذى اذا خلط الالوان معا نتج عن ذلك أسوأ تشوه ، وأسرع كل لون الى الفساد والانحلال . وهذا ما يحـــدث اذا ما تركت الروح الجسد والنفس ، صار التشوه الذى يحدث أشد قبحا .

وان كان الجسد أقل مرتبة من النفس فلا تحتقره ، لأننى لا أجسر على احتقار النفس لأنها لا قدرة لها بدون الروح . وان أراد أحد أن يقول اى شىء فان النفس تحتاج الى انتقاد أشد من الجسد ، لأن الجسد يعجز عن أن يتمم أى أذى جسيم بدون النفس ، بينما تستطيع النفس أن تفعل الكثير بدون الجسد . ونحن نعلم انه عندما يكون الجسد فى دور الانحـــلال ، ولا تكون له قدرة على ارتكاب أى نوع من النجاسة ، فان النفس تستخدم بشدة . فالسحرة والمنجمون والمشعوذون يسببون للجسد الذبول .

وعلاوة على هذا ان الانغماس فى الملذات ليس ناشـــئا من مطالب الجسد ، بل من تراخى النفس . فالطعام ، لا الصوم ، هو موضوع مطالب الجسد . فاننى ان فكرت فى وضع لجام قوى فى فم الحصان تمكنت من أن أوقفه . لكن الجسد يعجز عن أن يصعد النفس عن متابعة سيرها الشرير .

اذن لماذا دعاها اهتمامات الجسد ؟ لأنها ناشئة بكليتها من الجسد ، واذا ما تسلطت انحرفت ، اذ حرمت نفسها من استخدام العقل ، ومن تسلط النفس .

اذن ففضيلة الجسد تعزى لخضوعه للنفس ، لأن الجسد من تلقاء ذاته ليس حسنا وليس شريرا . فماذا يستطيع الجسد أن يفعله من تلقاء ذاته ؟ اذن فالجسد صالح بسبب علاقته بالنفس ، وبسبب خضوعه لها . أما من تلقاء ذاته فانه ليس صالحا ولا شريرا ، ومع ذلك فله المقدرة على أن يكون صالحا أو شريرا ، وله الميل أيضا على أن يكون فى احدى الناحيتين .

الجسد له شهوة طبيعية لا للزنى ولا للنجاسة ، بل للذة . له شهوة لا للولائم بل للطعام ، لا لشرب المسكرات بل لشرب المياه . وللبرهان على أن شهوة الجسد الطبيعية ليست لشرب المسكرات لاحظ انك اذا تجاوزت الحد المعقول فان الجسد لا يطيق هذا التطرف .

الى هنا ينصب الحديث عن الجسد ، أما سائر أنواع التطرف ، مثلا عندما يندفع مسرعا نحو التوغل فى الملذات الجسدية ، عندما يفقد الوعى ، فان هذه ناشئة من النفس . فمع أن الجسد صالح الا أنه أقل قدرا جدا من النفس ، كما أن الرصاص أقل قدرا من الذهب ، لكن الذهب يحتاج الى الرصاص عند لحامه . هكذا الحال مع النفس فانها تحتاج الى الجسد .

وبنفس المقياس نقول كما ان الطفل النبيل يحتاج الى مرشد ، هكذا تحتاج النفس الى الجسد . وكما اننا ان تحدثنا عن الاشياء الصبيانية فاننا لا نحقر الطفولة ، بل نحقر تلك التصرفات التى تتم وقت الطفولة . هكذا نحن الان نتحدث عن الجسد .

ومع ذلك ففى استطاعتنا — ان أردنا — أن لا نبقى بعد فى الجسد ، ولا على الأرض ، بل فى السماء وفى الروح . لأن بقاءنا هنا أو هنالك ، لا يحدده مركزنا ، بل تحدده ميولنا .

ليتنا نبقى فى سلام الله ونعمته لكى نتحرر من كل ما هو للجسد ، ونتمكن من الوصول الى الصالحات التى وعدنا بها يسوع المسيح ربنا ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس ، المجد والقوة والكرامة ، الآن والى كل الدهور . آمين ؟

العظة السادسة

(ص ٢ : ١٧ - ٢٢)

« فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين · لأن به لنا كلينا قدوما فى روح واحد الى الآب · فلستم اذن بعد غرباء ونزلا ، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله · مبنيين على أساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية · الذى فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكلا مقدسا فى الرب · الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله فى الروح » ·

قال الرسول ان المسيح لم يرسل الينا هذه الانباء على يد شخص آخر ، ولم يعلنها لنا بواسطة شخص آخر ، بل بنفسه ، وفى شخصه · لم يرسل ملاكا أو رئيس ملائكة لهذه المهمة ، لان اصلاح تلك المفاسد الكثيرة جدا ، واعلان ما قد تم ، لم يكن ممكنا أن يقوم به شخص آخر ، بل كان يتطلب مجيئه الينا · لذلك أخذ الرب صورة عبد ، بل صورة خادم · « فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين » · أى لليهود ، الذين كانوا - بالنسبة الينا - قريبين · « لأن به لنا كلينا قدوما فى روح واحد الى الآب » ·

وقال « بسلام » ، ذلك السلام مع الله · لقد صالحنا · لأن الرب نفسه قال « سلاما أترك لكم ، سلامى أعطيكم » (يو ١٤ : ٢٧) · وقال أيضا : « ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) · وقال أيضا : « مهما سألتم باسمى فانا أفعله » (يو ١٤ : ١٤) · وأيضا : « لأن الآب نفسه يحبكم » (يو ١٦ : ٢٧) · هذه كلها دلائل كثيرة على السلام ·

وماذا فيما يختص بالأمم ؟ « لأن به لنا كلينا قدوما فى روح واحد الى الآب » هذا لا يعنى أنكم أنتم أقل ، وانهم هم اكثر ، فالنعمة معطاة لكل واحد بالتساوى / لقد سكن الغضب بموته ، وجعلنا أهلا لمحبة الاب بالروح· لاحظ أيضا قوله « ان به لنا كلينا قدوما فى روح واحد » أى بالروح · فانه به وبالروح القدس قربنا الى الآب · « فلستم اذن بعد غرباء ونزلا بل رعية مع القديسين »

الا تلاحظون أن هـذا الوعد لم يعـط لليهود فقط ، بل للقديسين والعظماء ، أمثال ابراهيم وموسى وايليا ، لقد أدرج اسمنا فى نفس المدينة مع أولئك • « فان الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطنـا » (عب ١١ : ١٤) • لسنا بعد غرباء أو أجنبيين عن القديسين • لأن الذين لا ينالون البركات السماوية هم غرباء • فالمسيح قال ان « الابن يبقى الى الأبد » (يو ٨ : ٣٥) •

ثم يكمل الكلام قائلا : « وأهل بيت الله » •

ان نفس الشيء الذى نالوه باتعـاب كثيرة قد منـح لكم بنعمة الله فانظروا رجاء دعوتكم •

« مبنيين على أساس الرسل والانبياء »

لاحظ كيف جمع الكل معا : الأمم ، واليهود ، والرسل ، والانبياء ، والمسيح ، ووضح الاتحاد ، أحيانا من الجسد ، وأحيانا أخرى من البناء • فقد قال « مبنيين على أساس الرسل والانبياء » • أى ان الرسل والانبياء أساس • وقد ذكر الرسل أولا مع أنهم بحسب الترتيب الزمنى آخرين • ولا شك فى أنه أراد بهذا أن يبين ان هؤلاء واولئك اسـاس واحد ، وان الجميع بناء واحد ، وأن هنـالك أصلا واحـدا • لاحظ أن الأمم لهم الآباء البطاركة الأولون كأساس • وهو هنا يتكلم عن هذه النقطة بقوة أشد مما فعل عندما تحدث عن تطعيم الأمم فى الزيتونة (رو ١١) • حيث صورهم بانهم ألصقوا بها • وبعد ذلك أضاف قائلا ان الذى يجمع الكل معـا هو المسيح « ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » • لأن حجر الزاوية الرئيسى يجمع معا الجدران والأساسات •

« الذى فيه كل البناء مركبا معا » •

لاحظ كيف انه يتحد الكل معا ، ويصور المسيح مرة بانه يدعم كل البناء من فوق ، ومرة أخرى بانه يدعمه من أسفل ، على اسـاس انه هو الأصل ، وهو الأساس •

ونظرا لأنه استخدم هذا التعبير « لكى يخلق الأثنين فى نفسه انسانا واحدا جديدا » (اف ٢ : ١٥) ، فانه بهذا يبين بوضوح أن المسيح بنفسه يتحد الحائطين معا ، كما يبين أيضا أن البناء خلق به • وقال كذلك انه هو « بكر كل خليقة » (كو ١ : ١٥) ، أى انه هو نفسه يدعم كل شيء •

« الذى فيه كل البناء مركبا معا »

سواء تحدثت عن السقف ، أو الجدران ، أو عن اى جزء آخر ، فان المسيح هو الذى يدعم الكل • وهكذا تحدث الرسول عنه فى مكان آخر بانه هو الأساس • « فانه لا يستطيع أحد ان يضع أساسا غير الذى وضع ، الذى هو يسوع المسيح » (١ كو ٣ : ١١) •

وقال « الذى فيه كل البناء مركبا معا » • هنا يبين أن البناء كامل ، وأنه لا يستطيع أحد ان يجد فيه مكانا الا اذا عاش بمنتهى الدقة • « ينمو هيكلا مقدسا فى الرب • الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معا » • وبصفة مستمرة كان يقول : « هيكلا مقدسا مسكنا لله فى الروح » •

اذن فما هو الهدف من هذا البناء ؟ هو لكى يسكن الله فى هذا الهيكل• كل واحد منكم بمفرده هيكل ، وكلكم معـا هيكل : والله يسكن فيكم على أســاس انكم جسد المسيح ، وعلى أســاس أنكم هيكل روحى • وهو لم يستخدم الكلمة التى تعنى مجيئنا الى الله ، بل تلك التى تعنى أن الله هو الذى يحضرنا الى نفسه ، لأننا لم نأت من تلقاء أنفسنا ، بل ان الله هو الذى قربنا اليه • قال المســيح : « ليس أحد يأتى الى الآب الا بى » • ثم قال أيضا : « أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦) •

لقد جمعهم مع القديسين ، وعاد ثانية الى صورته السابقة ، وهى ان الله لا يسمح قط بان يفصلوا من المسيح • اذن فلا شك فى أن هذا البنـــاء سوف يبقى الى مجيئه • ولا شك أيضا فى أنه لأجل هذا قال الرســـول بولس : « كبناء حكيم قد وضعت أساسا » (١ كو ٣ : ١٠ و ١١) • وقال أيضا ان المسيح هو الأساس • وماذا يعنى كل هـــذا ؟ أنتم تلاحظون أن المقارنات تشير كلها الى مواضيع البحث ، ولذا يجب أن لا نفسرها تفسيرا حرفيا • لقد تحدث الرسول من باب التشبيه كما فعل المسيح حينما قال عن الآب انه هو « الكـــرام » (يو ١٥ : ١) ، وقال عـن نفسه انه هو الأصل (١) (رؤ ٢٢ : ١٦) •

(ص ٣ : ١) « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يســـوع لأجلكم أيها الأمم » •

لقد سبق أن ذكر الرسول عناية المسيح العظيمة المملوءة محبة • والآن بدأ يذكر عنايته هو • وهذه ، وان كانت لا تذكر بجانب عناية الله ، الا أنها كانت كافية لكى تقربهم الى شخصه • بسبب هذا قال : أنا أيضا ملتزم -

---

(١) الكلمة تعنى أصل الشجرة أو جذرها •

لأنه ان كان ربى قد صلب لاجلكم فبالأولى جدا أكون أنا نفسى ملتزما . لم يكن المسيح نفسه فقط ملتزما ، لكنه يسمح لخدامة بأن يكونوا هم أيضا ملتزمين ، « لأجلكم أيها الأمم » . هذه كلمات مليئة بالتأكيد والتشديد . فالأمر لا يقتصر على أننا لم نعد نبغضكم ، لكننا ملتزمون لأجلكم . ولننى شريك فى هذه النعمة الجزيلة .

ع ٢. « ان كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لى لأجلكم » .

هنا يشير الى النبوة التى اعطيت لحنانيا فى دمشق عن بولس عندما قال له الرب : « اذهب لأن هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك » (أع ٩ : ١٥) .

ويقصد بتدبير النعمة الرؤيا التى أعلنت له . كأنه قد قال « لأنى لم أقبلها من عند انسان » (غل ١ : ١٢) . لقد تنازل بان يعلنها لى لأجلكم ، مع أننى مجرد شخص واحد . وهو نفسه قال لى : « اذهب فانى سارسلك الى الأمم بعيدا » (أع ٢٢ : ٢١) .

« ان كنتم قد سمعتم » لأنه كان تدبيرا عظيما أن يدعو شخصا واحدا لم يتأثر من أى مصدر آخر ، بل جاء التأثير من فوق مباشرة ، وقال لى « شاول شاول لماذا تضطهدنى » فضرب بالعمى بسبب ذلك النور الذى لا يوصف .

وقال : « ان كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لى لأجلكم » .

ع ٣. « انه باعلان عرفنى بالسر . كما سبقت فكتبت بالايجاز » .

لعله سبق أن أبلغهم هذا عن يد بعض أشخاص ، او لعله كان قد انقطع عن الكتابة لهم منذ مدة طويلة . وهو هنا يبين أنه تلقى الأمر كله من الله ، وأننا لم نرسل شيئا من أنفسنا . ولماذا ؟ ألم يخلص بولس نفسه بالنعمة ، وهو ذلك الشخص العجيب ، الخبير بالناموس ، الذى تعلم على يدى غمالائيل تعليما كاملا ؟ لهذا كان له كل الحق أن يدعو هذا سرا : وهو أن يرفع الأمم فى لحظة الى مركز أسمى من اليهود . « كما سبقت فكتبت بالايجاز » :

ع ٤. « الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح » .

ياله من أمر مذهل . اذن فهو لم يكتب كل شيء ، ولم يكتب بقدر ما كان يجب أن يكتب . وقد منعته عن هذا طبيعة الموضوع الذى كان يكتب فيه . أما فى مواضع أخرى فكان الذى منعه هو عدم قدرة السامعين ، كما

كان الحال مع العبرانيين (عب ٥ : ١١) وأهل كورنثوس (١ كو ٣ : ٢) . « الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح » ، اى كيف عرفت ، وكيف فهمت هذه الأشياء كما نطق بها الله ، أو كيف ان المسيح جالس عن يمين الله ، أو فهمت مقدار العظمة التى أغدقها الله على الأمم : فانه « لم يصنع هكذا باحدى الأمم » (مز ١٤٧ : ٢٠) . ولكى يبين ما هى تلك الأمة التى صنع معها الله هكذا أضاف قائلا :

ع ٥. « الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد اعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » .

اذن ما هو هذا الذى لم يعرفه الانبياء ؟ وكيف قال المسيح اذن ان موسى والانبياء « كتبوا هذه عنى ؟ » ثم قال أيضا « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى » (يو ٥ : ٤٦) . وقال أيضا : « فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩) وهو يعنى هذا :

١. اما أن هذه لم تعلن لكل البشر ، لأنه أضاف هذه العبارة : « الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن ،

٢. أو انها لم تكن تعرف بكل تفاصيلها « كما قد أعلن الان لرسله القديسين وأنبيائه بالروح . فتأمل : لو لم يكن بطرس قد أعلن له بالروح لما كان قد ذهب الى الأمم . اسمع ماذا قال : « هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا » (أع ١٠ : ٤٧) . أى انه بالروح القدس اختار الله انهم يقبلون هذه النعمة . والانبياء تكلموا ، لكن لم يعرفوها معرفة كاملة . وحتى الرسل لم يعرفوها بعد أن سمعوها . انها قد فاقت كل تقدير البشر ، وكل انتظارهم .

ع ٦ : « ان الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده » .

ما هذا ؟ شركاء فى الميراث : وشركاء فى الموعد ، وشركاء فى الجسد ؟ وهذه الأخيرة هى الحقيقة الجوهرية : أى أن يكونوا جسدا واحدا ، وان تكون لهم علاقة قوية به . وكونهم دعوا ، وعرفوا ، فقد كان هذا أمرا عظيما . ولهذا قال انه سر . « الموعد » : كان الاسرائيليون شركاء فى موعد الله ، وهكذا كان الأمم أيضا ./

/« فى المسيح بالانجيل » . أى بكونا أرسل اليهم ، وبايمانهم . لأنه لم يذكر فقط بانهم شركاء فى الميراث ، بل قبل « بالانجيل » . وعلى أى حال

فان هذا ليس أمرا عظيما جدا ، بل هو فى الواقع أمر صغير ، وهو يكشف لنا أمرا آخر أعظم ، هو ان البشر ليسوا هم الوحيدين الذين لم يعرفوا هذا ، بل لم يعرفه أيضا الملائكة ، ولا رؤساء الملائكة ، ولا أيه سلطة أخرى . لأنه كان سرا ، ولم يكن قد أعلن .

وقال : « تقدرون أن تفهموا درايتى » . لعل هذا يشير الى ما قاله لهم فى سفر أعمال الرسل بانه كانت له بعض المعرفة أن الأمم أيضا دعوا . كانت هذه هى درايته بالسر ، الأمر الذى سبق ان ذكره ، أى ان المسيح « يخلق الاثنين فى نفسه انسانا واحدا جديدا » . لأنه هو وبطرس تعلما أن لا يزدريا بالأمم ، وقد ذكر هذا فى دفاعه .

ع ٧. « الذى صرت أنا خادما له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى حسب فعل قوته » .

سبق أن قال « أنا أسير » . اما الان فقد كرر الكلام قائلا ان الكل من الله ، « حسب موهبة نعمة الله » ، لان رفعة هذا الامتياز هى حسب قدرة الموهبة . لكن الموهبة لم يكن ممكنا أن تكون كافية لو لم تكن قد غرست فيه القوة .

مغزى أدبى

كان العمل قويا جدا ، ولم يكن ممكنا الحصول عليه باى مجهود بشرى . لانه جعل الكرازة بالكلمة مقترنة بثلاث مميزات : غيرة متاججة مع اقدام ، ونفوس مستعدة لتحمل كل مشقة ممكنة ، ومعرفة ممتزجة بالحكمة . لأن محبة الرسول للجهاد ، وحياته التى بلا لوم ، لم يكن ممكنا لهما النجاح ، لو لم يكن قد نال قوة الروح القدس . ثم تطلع اليها كما كانت ترى أولا فى شخصه ، أو بالحرى اسمع كلماته : « لئلا تلام الخدمة » (٢ كو ٦ : ٣) . وأيضا : « لان وعظنا ليس عن ضلاله ، ولا عن دنس ، ولا بمكر ، ولا فى علة طمع » (١ تس ٢ : ٣ و ٥) . وهكذا رأيت أنه كان بلا لوم . وأيضا : « معتنين بامور حسنة ، ليس قدام الرب فقط ، بل قدام الناس أيضا » (٢ كو ٨ : ٢١) . والى هذه أضاف أيضا : « انى بافتخاركم الذى لى فى يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم » (١ كو ١٥ : ٣١) . وأيضا : من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد ؟ » (رو ٨ : ٣٥) . وأيضا : « فى صبر كثير ، فى شدائد ، فى ضرورات ، فى ضيقات ، فى ضربات ، فى سجون ، فى أتعاب ، فى أسهار » (٢ كو ٦ : ٤ و ٥) . ثم أنظر أيضا حذقه وادارته للأمور « صرت لليهود كيهودى للذين بلا ناموس كانى بلا ناموس ، للذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس » (١ كو ٩ : ٢٠) . وقد حلق رأسه أيضا (أع ٢١ : ٢٤ ـ ٢٦) . وتمم أيضا أعمالا مشابهة لا حصر لها .

لكن تاج الكل كان فى قوة الروح القدس ، لأنه قال : « لانى لم أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتى » (رو ١٥ : ١٨) ٠ وأيضا : « لأنه ما هو الذى نقصتم عن سائر الكنائس » (٢ كو ١٢ : ١٣)٠ وأيضا : « لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل » (٢ كو ١٢ : ١١) ٠ بدون هذه كان مستحيلا أن يتمم شيئا ٠

اذن فالناس لم يصيروا مؤمنين بمعجزاته ٠ كلا ، فلم تكن المعجزات هى التى فعلت هذا ٠ كذلك لم يطالب بمطالبه السامية على أساس هذه الأمور ، بل على أساسات أخرى ٠ لان المرء يجب ان يكون طاهر الذيل فى سلوكه ، حكيما حصيفا فى معاملاته مع الآخرين ، لا يبالى باى خطر ، صالحا للتعليم ٠ لقد تم الجزء الأكبر من نجاحه عن طريق هذه الصفات ٠ واذ توفرت هذه لم يكن هنالك ما يدعو للمعجزات ٠ وعلى الأقل نحن نرى أنه كان ناجحا فى عدد لا يحصى من مثل هذه الحالات ، قبل أن يستخدم المعجزات ٠ أما الآن فاننا بدون أى شيء من هذه نشتهى أن نتسلط على كل شيء ٠ ومع ذلك اذا انفصلت أية صفة من هذه عن غيرها أصبحت لا فائدة منها ٠ فأية قيمة للمرء ان كان لا يخشى أى خطر لكن حياته فيها الكثير من اللوم ٠

قال المسيح : « ان كان النور الذى فيك ظلاما ، فالظلام كم يكون ؟ » (مت ٦ : ٢٣) ٠ وأيضا ما هى فائدة المرء ان كانت حياته بلا لوم لكنه بليد وكسول ؟ فقد قال المسيح : «من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى» (مت ١٠ : ٣٨) ٠ وهكذا أيضا « الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يو ١٠ : ١١) ٠ وأيضا ما هى فائدة هذه كلها الا اذا كان المرء فى نفس الوقت حكيما وحصيفا ، « ويعرف كيف يجب أن يجاوب كل واحد ؟ » (كو ٤ : ٦) ٠

وحتى ان لم يكن فى استطاعتنا عمل المعجزات ففى استطاعتنا أن نتصف بهذه الصفات ٠ وبالرغم من هذا فان كان بولس قد اتصف بهذه الا أنه نسب الكل للنعمة ٠ هذا ما يعمله الخادم الامين ٠ وما لم تلجئه الضرورة للاعلان عن أعماله الصالحة لما كنا قد سمعنا عنها قط ٠

وهل نستحق نحن حتى مجرد ذكر اسم بولس ؟ فذاك الذى كانت له ــ علاوة على هذا ــ نعمة لتعضده ، لم يكتف بها ، بل أضاف الى عمله عشرة آلاف من الاخطار ٠ أما نحن الخالون من مصدر الثقة فكيف نتوقع أن نبقى على من أؤتمنا عليهم ، أو نربح من لم يأتوا بعد الى الحظيرة ، نحن الذين نسعى وراء الانغماس فى شهواتنا ، الذين نطلب الراحة من العالم ، ولا نقدر أن نحتمل ، أو بالاحرى لا نريد أن نحتمل حتى ظل الخطر ، ونحن بعيدون كل

البعد عن الحكمة ، كبعد السماء عن الأرض ؟ أما الذين تحت سلطاننا فانهم يتخلفون جدا عن رجال تلك الأيام ، لان تلاميذ تلك الايام أفضل من معلمي هذه الأيام الحاضرة • واذ كان رجال تلك الأيام معزولين وسط عامة الشعب ، ووسط الطغاة الظالمين ، وكان كل من هم حولهم أعداء لهم ، فانهم مع ذلك لم يخضعوا لهم باى حال من الأحوال •

استمع على الاقل الى ما قاله لاهل فيلبى : « لانه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضا ان تتألموا لاجله » (فى ١ : ٢٩) • وأيضا لاهل تسالونيكى : « فانكم أيها الاخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التى هى فى اليهودية » (١ تس ٢ : ١٤) • وقال أيضا عندما كتب الى العبرانيين : « لانكم قبلتم سلب أموالكم بفرح » (عب ١٠ : ٣٤) • وشهد لأهل كولوسى أيضا قائلا : « لانكم قد متم ، وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله » (كو ٣ : ٣) • بل شهد لأهل أفسس أنفسهم هؤلاء بانهم قد احتملوا أخطارا كثيرة ومتاعب متعددة • وقال أيضا عندما كتب لأهل غلاطية : « أهذا المقدار احتملتم عبثا ان كان عبثا ؟ » (غل ٣ : ٤) •

وأنتم ترونهم كلهم أيضا منشغلين فى عمل الخير • وترون ايضا ان النعمة عملت بقوة فى تلك الأيام ، كما ترون أنهم عاشوا فى أعمال صالحة • استمع أيضا الى ما كتبه لأهل كورنثوس ، الذين وجه اليهم تهما لا حصر لها ، ومع ذلك لم يشأ أن يدونها • وهذا ما قاله : « هوذا حزنكم قد أنشأ فيكم من الغيرة بل من الشوق » (٢ كو ٧ : ١١) ثم انه شهد لهم فى نواح كثيرة فى هذا الموضوع • هذه الأمور لا يراها المرء هذه الايام حتى فى المعلمين ، فقد تلاشت وعفا عليها الزمن • والسبب فى هذا أن المحبة قد فترت ، والخطاة لا يلقون القصاص • فاسمع ما قاله عندما كتب الى تيموثاوس : « الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع » (١ تى ٥ : ٢٠) ، فالقادة اعتراهم المرض ، وان كانت الرأس سقيمة فكيف يحتفظ باقى الجسد بصحته وقوته ؟

ثم لاحظ الأوضاع المعكوسة فى الوقت الحاضر • فالذين كانوا يعيشون فى الفضيلة ، واحتفظوا بثقتهم فى كل الظروف لجأوا الى قمم الجبال (١) ، وخرجوا من العالم ، واعتزلوا ، كما لو كانوا قد اعتزلوا عن عدو أو عن شخص غريب ، لا عن هيئة يتبعونها •

وحلت بالكنائس أيضا الاوبئة بما اقترنت به من النكبات التى

---

(١) الاشارة هنا الى الرهبان الذين كانوا يعيشون فى الجبال المحيطة بانطاكية ، التى يبدو أن هذه العظات كتبت فيها •

لا توصف • وأصبحت المناصب الرئيسية تباع وتشترى • ومن هنا نشأت شرور لا عدد لها ، دون أن يوجد من يوبخهم أو ينتهرهم • بل ان اضطراب الأمور اتخذ نوعا من التنظيم والاستقرار • واذا ما ارتكب أى انسان خطأ ما فانه لا يسعى لتبرئة نفسه ، بل لايجاد شركاء معه فى جرائمه ان أمكن •

وماذا يكون مصيرنا طالما كنا نهدد بان تكون جهنم هى نصيبنا ؟ وصدقنى : لو لم يكن الله قد أعد لنا قصاصا هناك لرأيتم كل يوم مآسى أبشع من مآسى اليهود • وماذا اذن ؟ على أى حال يجب ان لا يعثر اى واحد ، لاننى لم أذكر أسماء اشخاص • هب ان شخصا ما دخل هذه الكنيسة ليقدم اليكم – أنتم الحاضرين معى فى هذه اللحظة – أولئك الذين هم معى الان ، وأراد أن يتقصى الحقيقة عنهم • او هب انه فى يوم عيد القيامة جاء واحد له مثل هذه الروح ، بحيث يعرف معرفة كاملة كل ما كانوا يعملون ، وفحص كل من جاءوا للتناول من جسد الرب ودمه ، واغتسلوا بالمعمودية بعد اتمام الاسرار ، لاكتشفت أمور كثيرة أشنع من فظائع اليهود • فانه يجد أشخاصا يمارسون العرافة والشعوذة والسحر والتعزيم ، ومن ارتكبوا خطايا الزنا والنجاسة والفجور والسكر والشتيمة والطمع • ولست أريد أن اذكر اكثر من هذا ، لئلا اسىء الى احساسات أى واحد من الواقفين هنا •

وهل هناك من مزيد ؟ هب أن شخصا أراد ان يفحص جميع المتناولين من الاسرار المقدسة فى كل العالم • أى نوع من التعديات لا يكتشفها ؟ وماذا يكون الحال لو أنه فحص أصحاب المراكز الرئيسية ؟ الا يجدهم منهمكين بشغف فى الارباح المادية ، ويتاجرون بالمناصب الرفيعة ، حسودين ، خبثاء ، معجبين بذواتهم ، شرهين ، مستعبدين للمال ؟

وحيثما وجدت مثل هذه الشرور أية نكبات لا نتوقعها ؟ ولكى تتأكد من شناعة الانتقام ممن يرتكبون مثل هذه الخطايا تأمل فى الامثلة التى نجدها فى القديم • فان جنديا واحدا سرق من الأملاك المقدسة فحلت النكبة على الجميع • أنت لا شك تعرف من هو الذى أقصده • هو عخان بن كرمى ، الذى سرق من الغنيمة المقدسة (يش ٧ : ١ – ٢٦) • وفى الوقت الذى تكلم فيه النبى كانت كل البلاد مليئة بالعيافة ، كما كان الفلسطينيون (اش ٢ : ٦) • أما الان فتوجد شرور لا حصر لها ، وليس من يخاف الله •

آه ، ليتنا نتحذر من الآن • فالعادة ان الله يعاقب الابرار أيضا مع الاشرار • هكذا كان الحال مع دانيال ، ومع الفتية الثلاثة المباركين ،

وهكذا حدث مع عشرات الالوف الاخرين ، وهكذا هو الحال فى حالة الحروب الحادثة فى الوقت الحاضر ·

وازاء كل هذه الاحداث لنحترس لانفسنا · ألستم ترون هذه الحروب ؟ ألستم تسمعون عن هذه النكبات ؟ ألستم تأخذون لانفسكم درسا من هذه الاشـــياء ؟ لقد ابتلعت أمم ومدن باكملها ، وخربت ، واســتعبد عشرات الالوف للبرابرة ·

وان كانت جهنم لا تعيدنا الى وعينا فلتعدنا هذه الاشياء · ما هـذه التهديدات ؟ أليست هى حقائق حدثت فعلا ؟ عظيم هو القصـــاص الذى احتملوه · وأشد هولا هو ذلك القصـــاص الذى سوف نتحمله ان كانت الاحداث التى حلت بهم لا تعيدنا الى صوابنا · هل حديثى هذا متعب (٢) ، انثى واثق من أنى انا المتعب · لكن اذا تأملنـا فى الحـــديث وجدنا أن له امتيازاته ، لانه ليس حديثا يرضى الناس · والاكثر من هذا ان المواضـيع التى يتضمنها تذل النفس وتؤدبها · لان هذه سوف تكون أســـاس تلك البركات العتيدة أن تكون فيما بعد ، التى نبتهل الى الله أن يمنحنا اياها ، فى يسوع المسيح ربنا ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن والى الابد · آمين ؟

(٢) لقد شكا يوحنا ذهب الفم من ان مستمعيه الاغنياء لما خيروا بين مسرات العالم والكنيسة فضلوا العالم ·

العظة السابعة

(ص ٣ : ٨ ــ ١١)

« لى أنا الاصغر من أصغر جميع القديسين (١) اعطيت هذه النعمة ان أبشر بين الامم بغنى المسيح الذى لا يستقصى ، وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح · لكى يعرف الان عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة ، حسب قصد الدهور ، الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا » ·

ان من يريدون الذهاب الى الطبيب لطلب العلاج ليس عليهم فقط أن يذهبوا اليه دون أن يعملوا شيئا آخر ، بل يجب عليهم أن يتعلموا كيف يعالجون أنفسهم ، ويستعملون الدواء · وهكذا الحال معنا نحن الذين نأتى الى هنا ، فيجب علينا أن لا نكتفى بالمجيء الى هنا دون أن نفعل شيئا آخر ، بل أن نتعلم درسنا ، وهو تواضع الرسول بولس الذى أظهره بكيفية عجيبة · وما هو ؟ عندما كان على وشك أن يتحدث عن عظمة نعمة الله قال : « لى أنا الاصغر من أصغر جميع القديسين اعطيت هذه النعمة » · كان تواضعا حقا حتى أن يبكى على خطاياه السابقة ، رغم أنها كانت قد غفرت له ، وأن يذكرها ، وأن يقيس نفسه بالمقياس الحقيقى ، لدرجة أنه دعا نفسه « مجدفا ومضطهدا ومفتريا » (١ تى ١ : ١٣) · ومع ذلك لم يكن هنالك ما يماثل هذا ، اذ قال « انا كنت قبلا » هكذا · ومرة أخرى قال عن نفسه انه « السقط » (١ كو ١٥ : ٨) · أما أن يتضع وقتئذ ــ بعد أن أتم اعمالا مجيدة كثيرة كهذه ــ ويقول عن نفسه انه « اصغر الجميع » ، فان هذا الواقع تواضع يفوق التصور · « أنا أصغر جميع القديسين » ، ولم يقل « أصغر الرسل » · وهذا التعبير أخف من التعبير الذى أمامنا الآن ·

هنالك قال : « أنا لست أهلا ان ادعى رسولا » (١ كو ١٥ : ٩) ، وهنا يقول انه « الأصغر من أصغر جميع القديسين » · لقد قال « لى انا الأصغر من أصغر جميع القديسين اعطيت هذه النعمة » · وأية نعمة ؟

---

(١) هذه هى الترجمة التى اعتمد عليها يوحنا ذهبى الفم ، وهى تتفق مع الترجمة الأنكليزية ، « أنا أصغر صغار القديسين جميعا » حسب ترجمة اليسوعيين المنقحة ·

« أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى ، وانير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح ، « لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة ، بحكمة الله المتنوعة » .

صحيح ان هذا السر لم يعلن لانسان . وهل أنت تنير الملائكة ورؤساء الملائكة والرؤساء والسلاطين ؟ فقال : أنا كذلك . فقد قيل انه « السر المكتوم فى الله » بل « فى الله خالق الجميع » . وهل تتجاسر على النطق بهذا ؟ فقال : نعم أتجاسر . وكيف أعلن للملائكة ؟ « بواسطة الكنيسة » .

ولم يقل فقط « حكمة الله المتنوعة (٢) (الكثيرة) » . وما هذا ؟ ألم تكن الملائكة تعرفه ؟ نعم ، لم تكن تعرفه . فان كان الرؤساء لم يعرفوه فبالاولى لم تكن الملائكة تعرفه . وماذا ؟ ألم يعرفه حتى رؤساء الملائكة ؟ حتى هؤلاء لم يعرفوه . وكيف كان ممكنا أن يعرفوه ؟ ومن هو الذى كان سوف يعلنه عندما عرفناه نحن الذين أعلمناه لهم . فاسمع ما قاله الملاك ليوسف : « وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) .

لقد أرسل بولس نفسه الى الأمم ، وأرسل الرسل الآخرون الى الختان . ولذلك فان الرسالة المذهلة العجيبة جدا أعطيت لى « أنا الاصغر من اصغر جميع القديسين » . وهذا أيضا كان بالنعمة ان أصغر الجميع أعطيت له أعظم الاشياء ، ان يكون هو الرسول حامل هذه الأنباء . لان حامل أعظم الأنباء يكون بهذه الطريقة عظيما .

« أن أبشر بين الامم بغنى المسيح الذى لا يستقصى » .

وان كان غناه لا يستقصى ، وذلك حتى بعد ظهوره ، فبالأولى جوهره . ان كان لا يزال سرا ، فبالأولى كان هكذا قبل أن يعلن . ولقد دعاه سرا لهذا السبب : لان الملائكة لم يكونوا يعرفونه ، ولا كان قد أعلن لأحد آخر .

وقال : « وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع » .

لقد عرف الملائكة هذا فقط « أن قسم (٣) الرب هو شعبه » (تث ٣٢ : ٨ و ٩) . وقيل أيضا : « رئيس مملكة فارس وقف مقابلى (٤) »

---

(٢) « الكثيرة جدا » حسب النص اليونانى .
(٣) « نصيب » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين .
(٤) « قاومنى » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين .

(دا ١٠ : ١٣) . فلا غرابة اذن أنهم كانوا يجهلون هذا . لانهم ان كانوا قد جهلوا ظروف العودة من السبى فبالألى كانوا يجهلون هذه الأمور . وهذا هو ما قاله الانجيل : « انه هو الذى يخلص شعبه » (مت ١ : ٢١). ولم تذكر كلمة واحدة عن الأمم . أما فيما يختص بالامم فقد أعلنه الروح القدس . صحيح ان الملائكة عرفوا أن الامم قد دعوا فعلا . أما أن يدعوا للتمتع بنفس امتيازات اسرائيل ، بل ليجلسوا على عرش الله ، فمن ذا الذى كان يتوقع هذا ؟ من ذا الذى كان يصدق هذا ؟

وقال : « المكتوم فى الله » .

فى الرسالة الى أهل رومية فسر الرسول بولس هذا التدبير . وأكمل الكلام قائلا « فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح » . وحسنا قال : « بيسوع المسيح » . فالذى خلق الكل بيسوع المسيح يعلن هذا أيضا به . لانه « بغيره لم يكن شىء مما كان » (يو ١ : ٣) .

واذ تحدث عن « الرؤساء والسلاطين » ، تحدث عن الذين هم فوق ، والذين هم تحت .

« حسب قصد الدهور (٥) » . يعنى أنه أعلن الآن ، لكنه قد سبق تدبيره منذ الازل . « الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا » . أى حسب سابق علمه منذ الازل ، لقد عرف مقدما ما سوف يكون ، فأمر به .

ع ١٢. وقال : « الذى به لناجراءة وقدوم بايمانه عن ثقة » .

« لنا قدوم » ، لا كمسجونين ، ولا كاشخاص يطلبون الغفران ، ولا كخطاة . لانه يقول : « لناجراءة عن ثقة » ، اى جراءة مقترنة بثقة متهللة . ومن أى شىء نشأت ؟ من ايماننا به .

ع ١٣. « لذلك أطلب أن لا تكلوا فى شدائدى لاجلكم التى هى مجدكم » .

كيف كانت « لاجلهم » ، وكيف كانت « مجدهم » ؟ ذلك لان الله هكذا أحبهم حتى بذل ابنه لاجلهم ، وسمح بالآلام لخدامه من أجلهم . فبولس زج به فى السجن لكى ينالوا بركات وفيرة . يقينا ان هذا كان بسبب محبة الله الفائقة لهم . وهذا ما قاله الله أيضا عن الانبياء : « قتلتهم (٦) باقوال فمى » (هو ٦ : ٥) . لكن كيف خارت قواهم فى

---

(٥) « حسب القصد الأزلى » كنص الترجمة الانكليزية ، « القضاء الأزلى » حسب ترجمة اليسوعيين المنقحة .

(٦) وهذه تتفق مع ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية ، « أقتلهم » حسب ترجمة بيروت .

شدائد شخص آخر ؟ يقصد أنهم تضايقوا وانزعجوا . هذا أيضا ما قاله عندما كتب لاهل تسالونيكي : « كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات » (١ تس ٣ : ٣) . لانه ليس مطلوبا منا فقط أن لا نحزن ، بل يجب أن نفرح . ان كنتم تجدون تعزية فى التحذير مسبقا ، فاننا نسبق ونخبركم أننا متضايقون . ولماذا نصلى ؟ لان الرب هكذا أمرنا .

ع ١٤ و ١٥. « بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح . الذى منه تسمى كل عشيرة فى السماوات وعلى الأرض »

هنا يبين روح صلاته من أجلهم . فانه لم يقل فقط « أصلى » ، بل أظهر تضرعاته بكيفية يحس بها القلب « باحناء المركب » .

« الذى منه تسمى كل عشيرة » .

أى انه لم يعد يحسبها ضمن عدد الملائكة ، بل كما يحسبها ذاك الذى خلق العشائر فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من تحت ، لا كما يحسب اليهود .

ع ١٦ و ١٧. « لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن . ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم » .

لاحظ الغيرة المتأججة التى بها استمطر هذه البركات عليهم لكى لا يتزعزعوا . وكيف يتم هذا ؟ « بالروح القدس فى انسانكم الباطن ، ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم » . وأيضا كيف يتم هذا ؟

ع ١٨ و ١٩ . « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة ، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة » .

هذه هى صلاته الآن ثانية ، وهى نفس الصلاة التى بدأ بها رسالته : « كى يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان فى معرفته ، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين ، وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين » (ص ١ : ١٧ ـ ١٩) .

والآن نراه يكرر نفس الكلام : « حتى تستطيعوا ان تدركوا على جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق » ، أى تعرفوا ـ معرفة كاملة ـ السر الذى رتبته العناية الالهية لاجلكم . « العرض والطول والعلو

والعمق » ، أى غزارة محبة الله ، وكيف انها تمتد الى كل اتجـاه • وهو يحددها بالمقاييس المنظورة للاجسام ، كأنه يشير بها للانسان • لقد شمل ما هو فوق ، وما هو تحت ، وما هو فى كل جانب • كأنه قد قال : لقد تكلمت هكذا ، ليس بكلمات من عندى ، لكى اعرفكم هذه الاشياء ، فهذا يجب أن يكون من عمل الروح القـدس • لكى تشتدوا ازاء التجارب التى تنتظركم ، ولكى تبقوا غير مزعزعين • ولذلك فليس هنالك طريقة أخرى لتشديدكم الا بالروح القدس ، سواء بازاء التجارب ، أو الافكار الجسديه •

وكيف يحل المسيح فى القلوب ؟ استمع الى ما قاله المسيح نفسه : « اليه نأتى (أنا وأبى) وعنده نصنع منزلنـا » (يو ١٤ : ٢٣) • هو يحل فى القلب المخلصة الامينة ، فى المتأصلين فى محبته ، الذين يبقون ثابتين وغير متزعزعين •

لكى تنالوا القوة الكاملة • ولذلك فالامر يتطلب قوة عظيمة « لكى تمتلئوا الى كل ملء الله » •

وماذا يعنى الرسول بهذا التعبير ؟ مع أن محبة المسيح تسمو فوق كل معرفة بشرية ، الا انكم سوف تعرفونهـا ان كان المسـيح حالا فى قلوبكم ، ولا تعرفون ذلك منه فقط ، بل أيضـا « تمتلئون الى كل ملء الله » • والمقصود « بملء الله » اما أن نعرف كيف يعبد الله فى الآب والابن والروح القدس ، أو حثهم على استخدام كل جهد ليمتلئوا بكل فضـيلة يمتلىء بها الله •

ع ٢٠. « والقـادر أن يفعل فوق كل شىء أكثر جدا مما نطلب او تفتكر ، بحسب القوة التى تعمل فينا » •

واضح مما قاله الرسول نفسه ان الله فعـل « فوق كل شىء أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر » • لقـد قال : اننى فعلا أصلى ، بل هو نفسه يعمل أكثر جدا مما نطلب ، حتى دون أن اصلى • وليس ذلك فقط ، بل فوق كل شىء • وهذا واضح من « القوة التى تعمل فينا » • فاننا لم نطلب هذه الاشياء ، ولا توقعناها •

ع ٢١. « له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع الى جميع أجيـال دهر الدهور آمين » • وبهذا يختم حديثه هنا فى هذا الاصحاح •

وحسنا ختم حديثه بصلاة وتسبيحة شكر • فخليق بمن وهبنا كل هذه الهبات الجليلة أن يقدم له المجد والتسبيح ، ولان هـذا هو جزء من

اعجابنا بمراحمه ، وأن نعطيه المجد من أجل ما منحنا الله اياه بيسوع المسيح ٠

« المجد فى الكنيسة » ٠ وحسنا قال هذا لان الكنيسة هى وحدها القائمة الى الابد ٠

ويبدو أنه من الضرورى أن نبين المقصود ب « كل عشيرة » ع ١٥. توجد هنا على الأرض عشائر ، أى أجناس نشأت من اب واحد ٠ اما فى السماء فكيف يمكن أن يكون هذا ، حيث لم يولد انسان من آخر ؟ فيقينا اذن اما أن يكون المقصود بالعشائر جماعات ورتب السمائيين ، كما نجده مكتوبا فى الكتاب المقدس : « عشيرة مطرى » (١ صم ١٠ : ٢١ ٠ أنظر الترجمة السبعينية) ٠ أو قد يكون المقصود أن العشائر مستمدة من ذاك الذى استمد منه الآباء الأرضيون لقب الأب الذى يستخدمونه ٠

وعلى أى حال فانه لم يسأل كل شىء من الله ، بل طلب منهم أيضا « الايمان والمحبة ، وليس مجرد المحبة ، بل المحبة المتأصلة المؤسسة ، وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة » ، لكى لا يزحزحها أى مؤثر خارجى ٠ ولقد سبق أن قال ان الشدائد مجد ع ١٣. وكأنه قد قال : ان كانت شدائدى هى مجد لكم ، فبالأولى تكون شدائدكم أنتم ٠ ولذلك فان حلت الشدائد بالناس فليس هذا دليلا على أن الله تركهم ، لان الله الذى عمل معنا عظائم كهذه لن يتخلى عنا قط ٠

وأيضا ان كان ضروريا لبولس ـ لكى يعرف محبة الله ـ أن يصلى ، وان كان الأمر يستدعى حلول الروح القدس فينا ، فمن ذا الذى يستطيع أن يدرك طبيعة المسيح بمجرد استخدام عقله ؟ ولماذا يكون أمرا شاقا أن نعرف بان الله يحبنا ؟ أيها الاحباء ، ان هذا امر شاق جدا ٠ فالبعض لا يعرفون حتى هذا ، بل انهم يقولون ان شرورا لا يحصى عددها تأتى الى العالم ، وآخرون لا يعرفون مدى هذه المحبة ٠ وبولس نفسه لم يحاول معرفة مداها ، أو يقيسها ٠ لأنه كيف كان ممكنا له أن يفعل هذا ؟ لكنه أدرك فقط أنها سامية وعظيمة ٠ وقد قال انه يقدر ان يبين هذا من المعرفة التى منحت لنا ٠

وعلى أى حال : أى شىء اعظم من ان نكون « متقوين بكل قوة » (كو ١ : ١١) لكى يحل فينا المسيح ؟ لقد قال ان الاشياء التى نطلبها كثيرة جدا ، لكن الله قادر أن يفعل أكثر منها ، ولذلك فانه لا يحبنا فقط ، بل يحبنا محبة عميقة جدا ٠ فلنحرص أيها الاحباء على أن ندرك محبة الله ٠ هذا شىء عظيم فعلا ٠ لا يوجد شىء أكثر نفعا لنا من هذا ٠ ولا يوجد شىء يمسنا مثل هذا ٠ هذا يقدر أن يقنع نفوسنا أكثر من الخوف من جهنم نفسها ٠

وكيف اذن نقدر أن نفهم هذا ؟ يمكن أن نفهمه من المصادر السابق ذكرها ، ومن الأمور التى تحدث لنــا كل يوم ٠ وما هى البواعث التى من أجلها تمت كل هذه لنا ؟ وما هى الضرورة التى ألجأته ليفعل هذا لنــا ؟ لا شيء مطلقا ٠ انه يكرر مرارا بان المحبة هى الباعث ٠ لكن أسمى درجات المحبة هى الباعث ٠ لكن أسمى درجات المحبة هى أن ينال البشر بركات الله دون أن يكونوا قد فعلوا أية خدمة تستدعيها ٠

مغزى أدبى

اذن فلنتبعه ٠ لنفعل الخير لاعدائنــا ، ولمبغضــينا ٠ لنقترب ممن يتباعدون عنا ٠ هذا يجعلنا متمثلين بالله ٠ « لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون ايضا يفعلون ذلك ؟ » (مت ٥ : ٤٦) ٠ وما هو الدليل القوى للمحبة ؟ هو أن تحب من يبغضك ٠ اسمحوا لى أن أقدم لكم أحد الأمثلة ٠ وطالمـا كنت لا اقدر ان اجـده بين الروحانيين ، فساقتبس مثلا ممن هم فى الخارج ٠ ألستم ترون أولئك المحبين ؟ كم من الاهانات تلحق بهم من سـيداتهم ، كم خـدعة عمـلت معهم ، كم من القصـاصات حلت بهم ٠ ومع ذلك فانهم يتمسكون بهن ، ويتحـرقون لاجلهن ، ويحبونهن أفضل من أنفسهم ، ويقضون ليـالى كاملة امام عتبة منزلهن ٠

فلنتخذ مثلنا منهم ٠ لست أقصد أن نحب اولئك الزوانى ٠ كلا ، بل لنحب أعداءنا ٠ لان أولئك الزوانى يعاملن محبيهن بوقاحة أشنع من كل الاعداء فى العـالم ، ويبـددن ثروتهن ، ويقـذفن الاهانة فى وجوههم ، ويفرضن عليهم أعمالا أحقر مما يفرضـنها على احقر خدمهن ٠ ومع ذلك لا يكفون عن محبتهن رغم انه لا يجد أحد أى عدو فى اى انسان كما يجد المحب فى سيدته ٠ بل ان هذه المحبوبة تزدرى بمن يحبها ، وتهينه ، وفى كثير من الاحيان تسيء معاملته ، وكلما ازدادت محبته لها ازدادت اهانتها له ٠ وهل توجد روح وحشية أشنع من هذه ؟ ورغم هذا فانه يستمر فى أن يحبها ٠

ولعلنا نجد مثل هذه المحبة أيضـا فى الاشخاص الروحانيين ، لكن ليس فى أيامنا ، لان المحبة بردت (مت ٢٤ : ١٢) ، بل فى عظماء العهود الغابرة ٠ فان موسى ، ذلك الرجل الطوباوى ، فاقت محبته محبة من كانوا يحبون بعواطفهم البشرية ٠ وكيف كان ذلك ؟ أولا انه هجر القصر الملكى بما يكتنفه من تنعم وخدم وأمجاد ، وفضل أن يكون مع الاسرائيليين ٠ وهذا أمر لا يمكن ان يفكر فيه أحد ٠ والأكثر من هذا ان كل واحد يستنكف ان ينتمى لجماعة من العبيد ، بل المنبـوذين ٠ ولم يقتصر الأمر على انه لم يخجل من شعبه ، بل بكل قوته دافع عنهم ، وعرض نفسه للاخطـار من أجلهم ٠ (أع ٧ : ٢٤) ٠

وكيف كان ذلك ؟ قيل انه اذ رأى شخصا ما يسىء الى واحد منهم دافع عن المساء اليه وقتل المسىء · لكن ليست هذه محبة للاعداء · صحيح ان هذا عمل عظيم ، لكنه ليس فى عظمة ما سوف نراه فيما بعد · ففى اليوم التالى رأى نفس المنظر يحدث · فانه عندما رأى الذى دافع عنه فى اليوم السابق (٧) يسىء الى أخيه نصحه بان يكف عن الاساءة اليه · أما هو فقال له بجحود شديد : « من أقامك رئيسا وقاضيا علينا ؟ » (أع ٧ : ٢٧) ومن لا تهيجه هذه الكلمات ؟ لو كان التصرف السابق قد تم بسبب العواطف الثائرة لكان قد قتل هذا الانسان أيضا ، لان الشخص الذى أنصف لم يكن ممكنا قط أن يبلغ عنه الجهات المسئولة · لكنه قال هذا لانهما كانا أخوان · عندما أسىء الى العبرانى لم ينطق بكلمة كهذه : « من أقامك رئيسا وقاضيا علينا ؟ » · « لماذا لم تقل كهذا أمس ؟ » ولو كان قد قال هكذا لاجابه موسى : « ان ظلمك وشرك وقساوتك هى التى جعلتنى رئيسا وقاضيا » ·

والان لاحظ : كم من أشخاص يوجهون فى الواقع مثل هذا الكلام لله نفسه · فانهم كلماأسىء اليهم فعلا يتمنون أن يكون هو اله نقمة ، ويشكون من طول أناته وصبره · أما ان اساءوا هم الى غيرهم فانهم لا يفكرون فى هذا لحظة واحدة ·

وعلى أى حال : هل توجد كلمات مريرة كهذه ؟ ورغم هذا فانه عندما أرسله الله فيما بعد الى ذلك الشعب الناكر الجميل ذهب دون تردد · بل انه بعد تلك المعجزات ، وبعد تلك العجائب التى تمت على يديه ، سعى ذلك الشعب مرارا ان يرجموه ليقتلوه ، أما هو فنجا من أيديهم · لقد ظلوا يتمردون عليه بدون انقطاع ، ومع ذلك أحبهم محبة شديدة ، لدرجة أنه قال لله عندما ارتكبوا تلك الخطية الشنيعة : « والان ان غفرت خطيتهم ، والا فامحنى من كتابك الذى كتبت » (خر ٣٢ : ٣٢) · اننى أفضل أن أهلك معهم عن أن اعيش بدونهم ·

هنا فى الواقع نجد المحبة الشديدة جدا ، التى ليست لها حدود · ماذا تقول يا موسى ؟ ألا تبالى بالسماء ؟ نعم أبالى ، لاننى احب من اساءوا الى · أتطلب بان يمحى اسمك من كتاب الله ؟ نعم ، فالمحبة هى التى تدفعنى لهذا · استمع الى ما يقوله الكتاب فى مكان آخر : « حتى تأذى موسى

---

(٧) غير واضح مما ورد فى (خر ٢ : ١١ الخ) أو فى (أع ٧ : ٢٤ الخ) ان العبرانى الذى أساء الى أخيه هو نفس الشخص الذى سبق ان دافع عنه موسى فى اليوم السابق ·

بسببهم » (مز ١٠٦ : ٣٢) • كم مرة تهوروا عليه ؟ كم مرة رفضوه ورفضوا أخاه ؟ كم مرة طلبوا أن يرجعوا الى مصر ؟ وبالرغم من كل هذا كانت محبته لهم مشتعلة ، وكان مستعدا أن يتألم من أجلهم •

هكذا ينبغي أن يحب كل امرئ أعداءه ، وان يسعى لخلاصهم ، بالبكاء ، والاحتمال الذى لا يكل ، وبعمل كل شيء ، وباظهار كل عطف •

وماذا فعل أيضا بولس الرسول ؟ ألم يطلب بان يكون محروما من المسيح لأجل اخوته ؟ (رو ٩ : ٣) • لكن المثل الأعلى نستمده من ربنا ، لأنه هو نفسه قال : « فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين » (مت ٥ : ٤٥) متخذا المثل من الآب ، ونحن نتخذه من المسيح نفسه • فانه لأجلهم جاء بتجسده ، واتخذ صورة عبد لأجلهم • « لكنه اتضع وأخلى نفسه ، آخذا صورة عبد » (فى ٢ : ٧ و ٨) • وعندما جاء اليهم لم يمض الى طريق أمم (مت ١٠ : ٥) ، وأعطى نفس هذه الوصية لتلاميذه ، وليس ذلك فقط ، لكنه « كان يطوف كل الجليل يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (مت ٤ : ٢٣) •

ثم ماذا ؟ لقد ذهل كل الباقين وتعجبوا وقالوا : « من أين لهذا هذه كلها » (مت ١٣ : ٥٦) • لكن أولئك الذين أحسن اليهم قالوا : « به شيطان » (يو ١٠ : ٢٠) ، وهو « يجدف » (يو ١٠ : ٣٦) ، « ويضل الشعب » (يو ٧ : ١٢) ، وهو « المضل » (مت ٢٧ : ٦٣) •

أما هو فهل نبذهم لأجل هذا ؟ كلا ، لكنه لما سمع هذه الأقوال ازداد سخاء فى توزيع هباته عليهم ، وذهب مباشرة الى من كانوا مزمعين أن يصلبوه طالبا أن يخلصهم • وماذا كانت كلماته بعد ان صلب ؟ « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) • والذين عاملوه بقسوة قبل هذا ، وبعد هذا ، عمل كل شيء لخيرهم ، وصلى لأجلهم • وما الذى لم يعمله من أجلهم بعد الصليب نفسه ؟ ألم يرسل لهم الرسل ؟ ألم يصنع المعجزات من أجلهم ؟ الم يهز العالم كله ؟

هكذا يجب أن نحب أعداءنا ، متمثلين بالمسيح • هكذا فعل بولس الرسول • فانه اذ رجم ، وتحمل أنواعا من القسوة لا حصر لها ، عمل كل شيء لخيرهم • استمع الى كلماته : « ان مسرة قلبى وطلبتى الى الله لاجل اسرائيل هى للخلاص » • وقال أيضا « لانى أشهد لهم ان لهم غيرة لله » (رو ١٠ : ١ و ٢) • وقال أيضا : « لأنه ان كنت قد قطعت من الزيتونة

البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة فكم **بالحرى** يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة » (رو ١١ : **٢٤)** • كم كانت رقيقة جدا تلك العواطف التى صدرت عنها هذه التعابير ، **وكم** كانت غنية هذه المحبة ؟ من المستحيل الوصول الى عمقها •

هكذا ينبغى أن نحب أعداءنا • هـــذا يعنى اننا نحب الله ، **الذى** أوصانا بالمحبة ، واعطاها لنا كشريعة جديدة • ونحن اذ نقتدى به **فاننـا** نحب أعداءنا • ولاحظ بانك اذ تحب عـــدوك فانك لا تحسن اليه ، **بل** تحسن الى نفسك ، وانك لا تحبه بل تطيع الله •

واذ عرفنا هذا ليتنا ندعم محبتنا بعضنا للبعض ، لكى نؤدى **هـــذا** الواجب كاملا ، وننال تلك الخيرات التى وعدنا بها المسيح يسوع **ربنـا** ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس المجد والقـــوة والكرامة ، **الآن** • والى الأبد • آمين ؟

العظة الثامنة

(ص ٤ : ١ و ٢)

« فاطلب اليكم ، أنا الاسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها ، بكل تواتضع ووداعة » ·

ليست مهمة المعلمين أن يهدفوا الى مدح مرؤوسيهم لهم ، أو اجلالهم لهم ، بل الى خلاصهم ، وأن يفعلوا كل شيء مدفوعين بهذا الباعث · لان من يسعى نحو الهدف الأول لا يعتبر معلما ، بل طـــاغية · ويقينا ان الله لم يقمك رئيسا لهم من أجل هذه الغاية لكى تنال سطوة أعظم ، بل لكى تتغاضى عن مصالحك الشخصية وتهتم بمصالحهم · هذه هى مهمة المعلم · وهذه كانت هى مهمة المغبوط بولس الرسول ، الذى تحرر من كل مظاهر الغرور ، وقنع بان يكون واحدا من شعب المسيح الكثيرين ، بل أن يكون أصغر واحد فيهم · لهذا كان يدعو نفسه خادمهم ، واذا تحدث معهم كانت تتبين فى كلامه نغمة المتوســـل · تأمله وهو يكتب الان ، لا بروح الاستبداد والغطرسة ، بل بروح الخضوع ·

« فاطلب (أتوسل) اليكم ، أنا الأسير فى الرب ، ان تسلكوا كمـــا يحق للدعوة التى دعيتم بها » · وما هو هذا الذى تتوسل من أجله ؟ هل لكى تنال أى ربح مادى من أجـل نفسك ؟ كلا · هو لكى اخلص آخرين · ويقينا ان من يتوسلون يفعلون هذا من أجل أمور جوهرية تخصهم · وقد قال هو : هذا صحيح ، وهذا أمر جوهرى لى ، وفقا لما قاله فى مكان آخر فى رسائله : « لاننا الآن نعيش ان ثبتم أنتم فى الرب » (١ تس ٣ : ٨) ، اذ كان يشتاق دواما الى خلاص من كان يعلمهم ·

« أنا الاسير فى الرب » · يا لهـا من كرامة عظيمة · أعظم من كرامة الملوك أو السفراء أو اى انسان آخر · ومن أجل هذا استخدم نفس اللقب عندما كتب الى فليمون : « اذ أنا انسان هكذا نظير بولس الشيخ ، والآن أسير يسوع المسيح » (فل ٩) · فلا شيء أمجـــد لأسير المسيح من تلك السلاسل التى ربطت بها اليدان المباركتان · كان أمجد له أن يكون اسيرا من أجل المسيح من أن يكون رسولا ، أو معلما ، أو كارزا ·

ان من يحب المسيح يدرك ماذا أقـــول · ومن تعمق فى روح الولاء للرب يعرف قوة هذه السلاسل · مثل هذا يفضل أن يكون أسيرا من اجل المسيح عن أن تكون له السماء مسكنا · كانت اليدان اللتـــان أراهم اياها

امجد من أية زينة ذهبية ، او من اى تاج ملكى • اية عصابة للرأس مرصعة بالجواهر ليست أمجد من السلسلة الحديدية التى تكبل اليدين من أجل المسيح • اذن لقد كان السجن أمجد من القصور ، بل أمجد من السماء نفسها • ولماذا أقول « أمجد من القصور ؟ » لأنه كان يضم سجينا ــ سجن من أجل المسيح • ان كل من يحب المسيح يعرف شرف هذا اللقب ، ويدرك قيمته ، ويعرف مقدار هذه البركة التى أعطيت للبشرية : ان يكون المرء موثقا من أجل المسيح • ان السجن من أجله امجد من الجلوس عن يمينه (مت ٢٠ : ٢١) ، بل الجلوس « على اثنى عشر كرسيا (عرشا) » (مت ١٩ : ٢٨) •

ولماذا أتحدث عن الأمجاد البشرية ؟ اننى أخجل من مقارنة الأمجاد الأرضية والزينات الذهبية بهذه السلاسل • ولكن الامتناع عن التحدث عن تلك الأمجاد السماوية العظيمة ، وحتى لو لم يكن الأمر مقترنا باى أجر مطلقا ، فهذا وحده أجر عظيم ، واحتمال هذه المتاعب من أجل الحبيب تعويض جميل • ان من يحبون ــ حتى وان كانت المحبة للبشر لا الله ــ يعرفون كلامى ، طالما كانوا يتلذذون بالآلام من أجل من يحبون ، أكثر مما يتلذذون بالأمجاد التى ينالونها منهم •

لكن معرفة هذه الأمور ــ معرفة كاملة ــ ترجع الى الجماعة المقدسة ، أى الى الرسل وحدهم • استمع الى ما قاله المغبوط لوقا : « وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من اجل اسمه » (أع ٥ : ٤١) • قد يبدو فى نظر كل الاخرين جهالة أن نحسب مستأهلين للاهانة ، وأن نفرح بالاهانة • أما فى نظر من يدركون محبة المسيح فان هذا يحسب أعظم بركة • لو خيرت أنا شخصيا بين السماء وتلك السلسلة لفضلت السلسلة • ولو خيرت بين الجلوس فى الاعالى مع الملائكة ، أو مع بولس فى السجن ، لفضلت السجن • ولو خيرت بين التحول الى واحد من تلك السلطات التى فى السماء ، الواقفة حول العرش ، أو الى سجين كهذا ، لفضلت أن أكون سجينا • ليس هنالك شىء امجد من تلك السلسلة •

ليتنى أوجد فى هذه اللحظة فى نفس ذلك المكان (اذ يقال ان السلاسل لا تزال موجودة) لانظر واعجب باولئك الاشخاص من أجل محبتهم للمسيح • ليتنى استطيع النظر الى تلك السلاسل ، التى يرهبها الشياطين ويرتعبون منها ، لكن الملائكة يمجدونها • ليس هنالك أشرف وأنبل من احتمال الشر من أجل المسيح • اعتقد بان الرسول بولس لم يسعد عندما « اختطف الى الفردوس » (٢ كو ١٢ : ٤) بقدر ما سعد

عندما زج به فى السجن • اعتقد بانه لم يسعد فندما سمع كلمات لا ينطق بها بقدر ما سعد عندما أوثقت يداه • أعتقد بانه لم يفرح عندما « اختطف الى السماء الثالثة » (٢ كو ١٢ : ٢) بقـــدر ما فرح بتلك السلاسل • ولكى تدرك أن هذه أعظم من تلك انظر كيف عرف هذا هو نفسه ، لانه لا يقول : « أنا الذى سمعت هذه الكلمات التى لا ينطق بها أطلب اليكم » (ألتمس منكم) ، بل « أنا الاســير فى الرب » • ونحن لا نعجب من هـــذا ، حتى وان كان لا يذكر هذا فى كل رســائله ، لأنه لم يكن فى السجن دواما ، بل فى أوقات معينة •

اننى أحسب أن احتمال الآلام من اجل المسيح افضل من قبــول المجد من يدى المسيح • هذا مجد فائق ، هذا مجد يفوق كل مجد • وان كان ذاك الذى أخذ صورة عبد ، وأخلى نفسه من مجده (فى ٢ : ٧) ، لم يعتبر أنه كان فى حالة أمجد مما كان عندما صلب ، فلماذا لا احتمل أنا كل شيء ؟ استمع الى كلماته : « أيها الآب مجدنى » (يو ١٧ : ١) • ما هذا الذى تقوله ؟ أنت تؤخذ الى الصليب لتصلب مع اللصوص وسارقى القبور ، أنت تحتمل موت اللعنة • سوف يبصق عليك ، وسوف تلطم ، وتدعو هذا مجدا ؟ نعم : فاننى أحتمل كل هذا من أجل احبائى ، واعتبره مجدا • وان كان ذاك الذى أحب البؤســاء والمرذولين قد حسب هـــذا مجدا ، لا أن يكون على عرش أبيه ، ولا فى مجد ابيه ، بل فى الهوان ، ان كان هذا هو مجده ، وان كان قد فضل هذا على ذاك ، فالاحرى بى أن أحسب كل هذه مجدا •

آه ، ما أمجد هذه السلسلة • آه ، ما أمجـد هاتين اليدين اللتين زينتهما هذه السلسلة • لما رفع بولس ذلك الاعرج فى لسترا وشفاه لم تكن يداه مجيدتين بقدر ما كانتا عندما أوثقتـــا بالسلسلة • لو كنت عائشا فى تلك الايام لقبلتهما ، ووضـــعتهما فى حدقة عينى ، ولما كنت أكف عن تقبيل هاتين اليدين اللتين حسبتا مستحقتين أن توثقا من اجل ربى •

هل تتعجب من بولس عندما نشبت الافعى فى يده دون أن تضره ؟ (أع ٢٨ : ٣ ـ ٥) • لا تندهل • فهذه الافعى احترمت السلسلة • بل لقد وقرها البحر كله • لأنه كان موثقا بالسلسلة أيضـــا عندما نجا اذ تحطمت السفينة • لو كانت قد عرضت على فى تلك اللحظة قوة لاقامة الموتى لفضـــلت عليها تلك السلسلة ـ لو كنت خاليـــا من الاهتمام بالكنيسة ، ولو كان جسدى قويا ومتشددا ، لما ترددت عن القيـــام برحلة طويلة لكى أرى فقط تلك السلاسل ، وذلك السجن الذى سجن فيه •

ان آثار معجزاته عديدة فعلا فى كل أرجاء العـالم ، لكنها ليست غالية مثل سمات الرب يسوع التى حملها فى جسده (غل ٦ : ١٧) • ولست أتلذذ بقراءة أنباء معجزاته فى الكتاب المقدس كما اتلذذ بالقراءة عن تحمله للنكبات ، وجلده ، وسحبه ، أو عن أخذ عصائب ومناديل من على جسده لوضعها على المرضى لكى يبرأوا • عجيبة جدا هـذه الأشـياء لكنها ليست عجيبة مثل تلك • « فوضعوا عليه ضربات كثيرة ، وألقوه فى السجن » (أع ١٦ : ٢٣) •

وأيضا عندما سجن بولس وسيلا « كانا يصليان ويسـبحان الله » (أع ١٦ : ٢٥) • واسمع أيضا : انهم « رجموا بولس ، وجروه ، ظانين أنه قد مات » (أع ١٤ : ١٩) • اتريد ان تدرك عظمة السلسلة الحديدية من أجل المسيح اذ ربطت حول جسد خادمه الامين ؟ أضـع الى ما قاله المسيح نفسه : « طوبى لكم » (مت ٥ : ١١) • لماذا ؟ هل لانكم أقمتم الموتى ؟ كلا • فلماذا ؟ هل لانكم شفيتم العمى ؟ كلا وألف كلا •• ولماذا اذن ؟ « اذا عيروكم ، وطردوكم ، وقالوا عليـكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين » (مت ٥ : ١١) •

وان كان مجرد كلام النـاس عن غيرهم رديا يكسبهم بركة كهذه ، فما الذى يكسبونه عندما يعاملون معاملة ردية ؟ استمع الى ما قاله هـذا المغبوط نفسه فى مكان آخر : « وأخيرا وضـع لى اكليل البر » (٢ تى ٤ : ٨) • ومع ذلك فالسلسلة أمجد من هذا الأكليل : وقد جعلنى الرب مستحقا لهذه السلسلة (أع ٥ : ٤١) ، وأنا لا ابالى بالاكليل • ان كنت أحتمل الآلام من أجل المسيح فيكفينى هذا تعويضـا • ليته يعيننى على ان أقول باننى « أكمل نقائص شدائد المسيح » (كو ١ : ٢٤) ، فلست اطلب شيئا أكثر •

وقد حسب بطرس أيضا مستحقا لهذه السلسلة : لأننا نقرأ انه ربط بسلسلتين ، وسلم للعسكر ونام (أع ١٢ : ٦) • لكنه فرح ولم يتحول عن قصده ، ونام نوما عميقا ، الأمر الذى لم يكن ممكنا أن يحدث لو كان مرتبكا • واذ كان نائما بين عسكريين جاءه ملاك ، وضرب جنبه ، وأيقظه •

والآن ، هل يسألنى أى واحد : أيهما تفضل ؟ اتفضل ان تكون هو الملاك الذى ضرب بطرس ، أم بطرس الذى نجا ؟ اننى أفضـل ان اكون بطرس من أجله جاء الملاك نفسه ، أننى افضل ان اتمتع بتلك السلسلة • وقد تسألنى كيف صلى اذ أنقذ من شرور كثيرة ؟ لا تتعجب ، فقد صلى لأنه خاف أن يموت • وكان خائفا من الموت ، اذ كان يتمنى أن يستمر على قيد

الحياة لكى يواجه شدائد أخرى • استمع الى ما قاله المغبوط بولس الرسول نفسه : « لى اشتهاء أن أنطلق واكون مع المسيح ، ذاك افضل جدا • ولكن أن أبقى فى الجسد الزم من اجلكم » (فى ١ : ٢٣ و ٢٤) • وقد حسب هذا هبة حيث قال : « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضا أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) •

لقد حسب الآلام هبة أعظم ، لان الله يهبها بنعمته المجانية ، هى هبة فعلا ، هبة سامية جدا ، أسمى من أن يجعل الشمس والقمر يتوقفان عن حركتهما ، أسمى من أن يعطى القوة التى تزحزح العـــالم ، اسمى من ان يعطى السلطان على الشياطين ، أو اخراجها • الشياطين لا تحزن بسبب اخراجنـــا لها بالايمان بقدر ما تحزن عندما ترانا نتـــألم من أجل المسيح وتسجن • لان هذه تزيدنا جرأة •

ليست السلاسل التى نحتملها من أجل المسيح أمرا نبيلا لانها تعـد لنا الملكوت ، بل لاننا نحتملها من أجل المسيح • واننى لا أرحب بها لأنها تقودنا الى السماء ، بل لأننا نحتملها من أجـــل رب السماء • كان له ان يفخر جدا اذ يعلم أنه اوثق من اجل المسيح • يا لها من ســـعادة جزيلة ، وشرف رفيع ، وامتيــــاز مجيد • اننى أتمنى أن اتأمل دواما فى هـــذه المواضيع ، وأتمنى أن اتشبث بهـــذه السلسلة • واتمنى ان الف هـــذه السلسلة حول نفسى ، ولو أن هذا فى الواقع أمر غير ميسور •

عندما كان بولس مربوطا بسلسلة قيل انه قد « تزعزعت أساسات السجن ، وانفكت قيود الجميع » (أع ١٦ : ٢٦) • ألست ترى اذن انه كانت فى القيود طبيعة تذيب القيـــود نفسها ؟ فكما أن موت الرب امات الموت نفسه ، هكذا اســـــتطاعت قيود بولس ان تحل قيود المحبوسين ، وتزعزع أساسات السجن ، وتفتح الأبواب • ليس هذا هو التأثير الطبيعى للقيود ، بل هو العكس • فهى تحفظ المقيـــد من أن يهرب ، لا أن تفتح له الأبواب • ليست هذه هى طبيعة القيود بصـــفة عامة ، بل هى طبيعة القيود التى تحتمل من أجل المسيح • فاننا نقرأ ان حافظ السجن « خر لبولس وسيلا وهو مرتعد » (اع ١٦ : ٢٩) •

كذلك ليست طبيعة القيود بصـــفة عامة أن تجعل من يربط غيره بالقيود يخر ساجدا أمام من يقيده ، بل العكس انها تجعل المقيـــد يخر ساجدا أمام من يربطه بالقيود • فهنا نجد الحر الطليق يخر ساجدا عنـــد قدمى المقيد • كما نجد أن من يربط غيره بالقيـــود يلتمس من المقيد بان يحله من قيود الخوف •

قل لى ، ألم تكن أنت الذى قيدته ؟ الم تكن انت الذى القيته فى السجن الداخلى ؟ (أع ١٦ : ٢٤) • ألم تكن انت الذى ضبطت رجليه في المقطرة ؟ فلماذا ترتعد ؟ لماذا تضطرب ؟ لماذا تبكى ؟ لماذا تستل سيفك ؟ فاجاب : اننى لم أقيد قط شخصا كهذا • لم أكن ادرى ان المسجونين من أجل المسيح لهم قوة مقتدرة كهذه • ماذا تقول ؟ لقد نالوا قوة تفتح السماء ، أفلا يستطيعون أن يفتحوا سجنا ؟ لقد حرروا من ربطتهم الأرواح الشريرة ، فهل تقف فى وجههم قطعة من حديد ؟ أنت لا تعرف هؤلاء الناس ، ولذلك غفرت لك خطاياك •

هذا السجين هو بولس الرسول الذى توقره كل الملائكة • هو بولس الذى كانت مناديله ومآزره تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩ : ١٢) • ويقينا ان السلاسل التى من الشيطان شديدة الصلابة ، بل أشد صلابة من الحديد ، لأن سلاسل الشيطان تقيد النفس ، أما السلاسل الاخرى فتقيد الجسد • ولذلك فان من حرر النفوس ألا تتوفر لديه القوة ليحرر الجسد ؟ والذى استطاع ان يحطم سلاسل الأرواح الشريرة هل يعجز عن أن يحطم السلاسل الحديدية ؟ والذى حرر أولئك المسجونين بملابسه ومناديله ، وخلصهم من قبضة الشياطين ، هل يعجز عن تحرير نفسه بنفسه ؟ لأن بولس كان أولا مقيدا ، ثم حرر المسجونين ، لكى تدرك أن خدام المسيح المقيدين لديهم قوة أعظم من قوة الاحرار • لو ان واحدا من الأحرار فعل هذا لما اعتبر عمله غريبا • اذن فلم تكن السلسلة علامة على الضعف ، بل بالحرى كانت أعظم قوة • وهكذا ظهرت قوة القديس بكيفية بارزة ، اذ رغم أنه كان مقيدا صار أعظم قوة من الاحرار ، ولم يحرر نفسه فقط ، بل حرر أيضا من كانوا مقيدين •

وماذا كانت فائدة الأسوار ؟ وماذا كان نفع الزج به فى السجن الداخلى ان كان قد فتح الخارجى أيضا ؟ ولماذا تم هذا ليلا ، ولماذا كان مقترنا بزلزلة ؟

صبرا قليلا ، واسمح لى بان أغض النظر عن كلمات الرسول ، وأبسط لك أعماله ، وأتأمل فى سلاسله • اسمح لى بفرصة اطول لزيادة التأمل فيها • لقد تشبثت بتلك السلسلة ، ولن يفصلنى احد منها • اننى فى هذه اللحظة مقيد بمحبتى أكثر مما كان هو مضبوطا فى المقطرة • لا يقدر أحد أن يحطم هذه السلسلة ، لأنها مصنوعة من محبة المسيح • ليست لدى الملائكة ، ولا ملكوت السماء قوة لفكها • فلنستمع الى كلمات الرسول : « لاملائكة ، ولا رؤساء ، ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ، ولا مستقبلة ، ولا علو ، ولا عمق ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ و ٣٩) •

ولماذا حدث هذا في نصف الليل ؟ ولماذا اقترن بزلزلة ؟ اسمع ، وتعجب من ترتيب العناية الالهية . لقد « انفكت قيود الجميع .. وانفتحت في الحال الأبواب كلها » . وحدث هذا من أجل حافظ السجن فقط ، لا بقصد التفاخر ، بل بقصد خلاصه . لأنه واضح من كلام بولس أن المسجونين لم يدركوا أن قيودهم قد انفكت ، فقد قال : « لا تفعل بنفسك شيئا رديا ، لان جميعنا ههنا » (أع ١٦ : ٢٨) . ولو كانوا قد رأوا الأبواب مفتوحة ، وأدركوا أنهم قد تحرروا من قيودهم ، لما كانوا قد بقوا في السجن لحظة واحدة . فالذين تعودوا اقتحام الأسوار ، وتسلق المتاريس ، وتذليل كل أنواع الصعوبات وهم مقيدون ، لم يكن ممكنا أن يتحملوا البقاء لحظة داخل السجن بعد فك القيود من أيديهم وفتح الأبواب ، سيما وقد كان حافظ السجن نائما . بل كانت قيود النوم لهم عوض القيود الحديدية .

هكذا تم الأمر دون أن يحدث أى اذى – بسبب المعجزة – للسجان الذى كان ينبغى أن يخلص . وعلاوة على هذا فان المسجونين قيدوا فى الليل ، لا فى النهار . ولذلك تم التقييد بكل حرص اذ كانوا نائمين . لكن لو كانوا قد قيدوا بالنهار لكانوا قد تهيجوا كثيرا وقاوموا .

وأيضا لماذا تزعزعت أساسات السجن ؟ لا يقاظ السجان ، فيرى ما حدث ، لأنه كان هو الوحيد المستحق للخلاص . ورجائى لك أن تتأمل فى عظمة نعمة المسيح . ففى وسط الحديث عن سلاسل بولس ذكرت أيضا نعمة الله . نعم ، فالسلاسل نفسها هى هبة الله ونعمته .

هنالك من يشتكون قائلين : « ولماذا خلص السجان ؟ » وهكذا يجدون عيبا فى نفس تلك الظروف التى كان يجب ان يستغلوها للاعجاب بمحبة الله ورحمته . ليس فى هذا ما يدعو للعجب . هذه هى حالة أولئك السقماء الذين يجدون عيبا حتى فى الغذاء الذى يقوتهم ، والذى كان ينبغى أن يدركوا قيمته ، والذين يؤكدون ان العسل مر ، وأولئك الذين عميت بصائرهم بسبب الأشياء التى كان يجب أن تنيرها . ليس لان هذه النتائج تحدث من طبيعة الاشياء نفسها ، بل من ضعف الاشخاص الذين يعجزون عن استخدامها استخداما حسنا .

ما هذا الذى أقوله ؟ لقد كان يجب أن يعجبوا بمحبة الله وعطفه ، لأنه أنقذ شخصا من حالته الميئسة القاتلة . لكنهم عابوا هذا العمل وقالوا : « لقد كان العمل كله نتيجة أعمال السحر والشعوذة » .

كانت هنالك اعتبارات كثيرة تدحض هذه السفسطة . أولا كان

السجان يسمع بولس وسيلا يسبحان الله • والسحرة لا يمكن أن يرنموا ترانيم كهذه • وثانيا ، لأنهما لم يهربا ، بل منعا السجان من أن يقتل نفسه (ع ٢٨) • ولو كانا قد فعلا المعجزة من أجل نفسهما لما بقيا فى السجن ، بل كانا أول من يهرب •

كان عطفهما أيضا عظيما لأنهما منعا ذلك الانسان – الذى قيدهما – من أن يقتل نفسه • وكان لسان حالهما يقول : « أنت قيدتنا بكل حرص ، وبكل قسوة ، لكننا نحلك من أقسى أنواع السلاسل » فكل انسان يقيد بسلاسل خطاياه • وهذه السلاسل ملعونة ، أما التى تحتمل من أجل المسيح فهى مباركة : وتستحق منا كل شكر •

ولقد بين لنا الرسول بادلة محسوسة أن القيود الحديدية يمكنها أن تحل قيود الخطية • أرأيت كيف ان اولئك المقيدين بقيود حديدية قد حلوا من قيودهم ؟ سوف ترى نفسك أيضا محلولا من القيود المريرة • وتلك القيود – قيود المسجونين الاخرين ، لا قيود بولس – كانت نتيجة القيود الاخرى ، أى قيود الخطية • كان المحبوسون محبوسى الجسد ومحبوسى الروح • وكان السجان نفسه أيضا مسجونا • كانوا هم مقيدين بالخطية ومقيدين بالحديد ، أما هو فكان مقيدا بالخطية فقط • وعندما حلهم بولس كان ذلك لكى يثبت ايمان السجان ، لأن القيود التى حلها كانت منظورة •

هكذا فعل المسيح أيضا ، لكن بترتيب معكوس • ففى الحالة التى قدمت اليه كان هنالك شلل مزدوج • وما هو ؟ كان هنالك شلل النفس بسبب الخطايا ، وكان هنالك شلل الجسد أيضا • وماذا فعل المسيح ؟ لقد قال : « ثق يا بنى ، مغفورة لك خطاياك » (مت ٩ : ٣ – ٦) •

لقد حل أولا قيود الشلل الحقيقى ، وبعد ذلك شفى الشلل الاخر • لأنه حينما « قال قوم من الكتبة فى أنفسهم هذا يجدف ، علم يسوع أفكارهم ، فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ؟ أيما أيسر ان يقال مغفورة لك خطاياك ، أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا ان لابن الانسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا ، حينئذ قال للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب الى بيتك » •

اذ أجرى المعجزة غير المنظورة أيدها بالمنظورة ، ايد الشفاء الروحى بالشفاء الجسدى • ولماذا فعل هكذا ؟ لكى يتم ما قيل : « من فمك أدينك أيها العبد الشرير » • فماذا قالوا ؟ « من يقدر أن يغفر خطايا الا الله وحده » (مر ٢ : ٧) • اذن لا يقدر ملاك ، أو رئيس ملائكة او أية خليقة اخرى

ان يغفر خطايا » • هذا ما اعترفتم أنتم به • وماذا كان يجب أن يقـــال اذن ؟ اذاً ما تبيّن بانى قد غفرت الخطايا كان هذا دليلا كاملا بانى أنا الله • وعلى أى حال فانه لم يقـــل هكذا • وما الذى قاله : « لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا ، حينئذ قال للمفلوج : قم أحمل فراشك واذهب الى بيتك » (مت ٩ : ٦) •

وعندما استطاع أن يقول اننى أتممت المهمة الأكثر صعوبة فواضح أنه لم يوجد لديهم أى اعتراض على اتمام المهمة الاسهل • لهذا عمل المعجزة غير المنظـورة أولا ، لأنه كان هنـــالك مقاومون كثيرون • فنقـــلهم من غير المنظور الى المنظور •

اذن فيقينا ان ايمان السجان لم يكن ايمانا تافها أو متعجلا • فقد رأى المسجونين • ولم ير شيئا خطأ ، ولم يسمع شيئا خطأ • ورأى انه لم يتم شىء بالسحر ، اذ كان بولس وسيلا يســبحان الله • لقد رأى أن كل ما تم كان منبعثا من الرحمة الفيــاضة ، لانهما لم ينتقما منه ، مع أن هذا كان فى وســـعهما ، اذ كان فى وســـعهما ، ان ينجيا نفسيهما وينجيا المسجونين ، ثم يهربان • وان لم ينجيا المسجونين فقد كان فى امكانهما ان ينجيا نفسيهما • لكنهما لم يفعلا هـــذا • وهكذا الزماه بتوقيرهما ، ليس فقط بالمعجزة ، بل بتصرفهما أيضا • لأنه ماذا قال بولس عندما صـــاح بصوت عظيم : « لا تفعل بنفسك شيئا رديا لأن جميعنا ههنا » (ع ٢٨)• وها أنت ترى لأول وهلة خلوه من الفخر البـــاطل ، والكبرياء ، وروح التحزب • لم يقل : ان هذه العجائب تمت من أجلنا ، بل قال « لأن جميعنا ههنا » ، كأنه كان مجرد واحد من المسجونين •

ورغم أنهما لم يحلا قيود نفسيهما بنفسيهما قبل ذلك ، ولم يفعلا هذا بقوة المعجزة ، الا انهما كان ممكنا لهما ان يلتزما الصمت ، ويحـــلا ويحررا كل ما كانوا مربوطين لقد التزما الصمت ، ولو لم يكونا قد منعاه بصراخهما عن قتل نفسه ، لكان قد قتل نفسه •

لقد صرخ الرسول بولس لأنه كان محبوسا فى السجن الداخلى ، كأنه قد قال : « انك قد فعلت هـــذا لضررك ، لأنك قد أدخلت هذين اللذين كان ممكنا لهما أن ينجياك من الخطر •

وعلى أى حال فانهما لم يقتديا بالمعاملة التى عوملا بها على يديه • مع أنه لو كان قد مات لكان الجميع قد نجوا • وأنت ترى انهما فضلا ان يبقيا فى القيود عن ان يرياه يهلك • ولذلك كان ممكنا له أيضا أن يناجى نفسه

قائلا : « لو كانا منجمين لكانا بلا شك قد أطلقا الآخرين أحرارا ، ونجيا نفسيهما من قيودهما » • (اذ يحتمل أن يكون قد سجن الكثيرون من أمثالهما) وقد ازدادت دهشته لأنه اذ كان قد سلم اليه منجمون كثيرون ليكونوا فى عهدته فقد شهد بانه لم ير شيئا كهذا • فالمنجم لن يزعزع أساسات السجن لكى يوقظ السجان من نومه ، وبهذا تتعطل نجاته •

والآن لنتقدم لكى نتأمل فى ايمان السجان • قال الكتاب : انه « طلب ضوءا ، واندفع الى داخل ، وخر لبوس وسيلا وهو مرتعد ، ثم أخرجهما وقال يا سيدى ماذا ينبغى ان أفعل لكى اخلص ؟ » لقد ارتبك وصرخ قائلا « يا سيدى، ماذا ينبغى ان أفعل لكى أخلص ؟ فقالا آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٢٩ ـ ٣١) • كان لسان حاله يقول : « ان تقديم تعاليم كهذه ليس من عمل المنجمين • فلم يرد فى أقوالهما أى ذكر للارواح الشريرة » •

وهكذا ترى انه كان مستحقا أن يخلص • لأنه عندما رأى المعجزة ، وتخلص من رعبه ، فانه لم ينس أهم أمر يخصه ، بل حتى عندما كان وسط خطر شديد أظهر اهتماما شديدا بخلاص نفسه وتقدم اليهما كأنه متقدم أمام المعلمين ، اذ انه خر عند أقدامهما • وبعد ذلك « كلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب • فاخذهما فى تلك الساعة ، وغسلهما من الجراحات ، واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٢و٣٣)

لاحظ غيرة هذا الرجل الملتهبة • فانه لم يتأخر ، ولم يقل : عندما يحل الصباح ننظر فى الأمر • لكنه بحماس شديد « اعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » • نعم ، انه يختلف عن الكثيرين فى هذه الأيام ، الذين يتغافلون عن تعميد الخدم ، والزوجات ، والاولاد •

اننى ألتمس منك أن تتمثل بالسجان • لا اقول هذا كمن له سلطان ، بل بقصد صالح • لأنه أية فائدة من السلطان ان كان القصد ضعيفا ؟ فان الرجل الهمجى ، المتوحش الذى عاش ممارسا تصرفات وحشية ، واساءات لا حصر لها ، عاد الى صوابه فى الحال ، وأصبح حنونا رقيق القلب • فقد قيل انه « غسلهما من الجراحات » ع ٣٣ •

ولاحظ من الناحية الاخرى غيرة بولس المتقدة أيضا ، فانه اذ أوثق وضرب كثيرا استمر يكرز بالانجيل • آه ، يا لهذه السلسلة المباركة • لقد توجعت طول الليل ، وفى الصباح ولدت بنين كثيرين • نعم لقد قال عن أحدهم : « الذى ولدته فى قيودى » (فل ١٠) •

لاحظ كيف افتخر ، وكيف أن البنين ، الذين ولدوا بهذه الكيفية ، كان يجب ان يكونوا بارزين جدا • ثم لاحظ مقدار عظمة مجد تلك القيود • ليس فقط لأنها أكسبت لابسها مجـــدا ، بل أيضـــا الذين ولدهم بهذه المناسبة • فالذين ولدهم بولس فى قيوده نالوا بعض الامتيازات ، لا أقول هـــذا من جهة النعمة (لأن النعمة ثابتة لا تتغير) ، ولا من جهة غفران الخطايا (لأن الغفران واحد للجميع) ، بل لأنهم تعلموا منـــذ البداية أن يفرحوا ويفتخروا بهذه الأمور • فقد قيل : « انه أخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات ، واعتمد فى الحال »

والآن تأمل فى الثمار • فقد كافأهما السجان فى الحـــال بعطاياه المادية • لقـــد « أصـــعدهما الى بيته ، وقدم لهما مائدة ، وتهلل مع جميع بيته ، اذ كان قد آمن بالله » • لأنه ماذا كان يعجز عن أن يعمله بعـــد أن أنفتحت له السماء نفسها وبعـــد أن انفتحت أبواب السجن ؟ لقـــد غسل جراحات معلمه ، وقدم له طعاما ، وفرح • لقـــد دخلت سلسلة بولس الى السجن ، وحولت كل شىء فيه الى كنيسة ، ونقلت اليه جسد المســـيح ، واعدت وليمة روحية ، وجددت نفوســا عديدة ، الأمر الذى لأجله فرحت الملائكة •

ألم يكن صادقا ما سبق أن قلته من ان السجن كان اكثر مجدا من السماء ؟ لأنه كان مصدر فرح هنـــاك • « هكذا يكون فرح فى الســـماء بخاطىء واحد يتوب » (لو ١٥ : ٧) • « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) • وكان بالأولى لابد أن يتم هذا حيث اجتمع بولس وسيلا والسجان وجميع بيته ، وحيث كان ايمانهم ملتهبا • لاحظ حرارة ايمانهم •

وهذا السجن ذكرنى بسجن آخر • وما هو هـــذا السجن الآخر ؟ هو ذاك الذى كان فيه بطرس • ليس لأن شيئا مثل هذا حدث فيه • نعم ، فانه قد ســلم الى أربعة أرابع من العسكر لحراسته • وهو لم يرنم ، ولم يسهر ، بل نام • وهو أيضا لم يجلد • ومع ذلك فقد كان الخطر أشـــد • لان الغرض من سجن فيلبى تحقق ، ولقى بولس وسيلا قصـاصهما • أما قصاص بطرس فكان ينتظره • ومع انه لم يكن هنالك اى تفكير فى ضربه بالجلدات ، فقد كانت أمامه أهوال مرعبة •

ثم لاحظ أيضا المعجزة التى حدثت • « واذا ملاك الرب أقبـــل ، ونور أضاء فى البيت ، فضرب جنب بطرس وأيقظه ، قائلا : قم عاجلا ، فسقطت السلسلتان من يديه » (أع ١٢ : ٧) • ولكى لا يظن بطـــرس

أن ما جرى يعزى للنور فقط ضرب الملاك جنبه أيضا . لم ير احد النور سوى بطرس ، الذى كان « يظن أنه ينظر رؤيا » . ان من ينام لا يحس بمراحم الله .

« وقال له الملاك : تمنطق والبس نعليك . ففعل هكذا . فقال له البس رداءك واتبعنى . فخرج يتبعه . وكان لا يعلم أن الذى جرى بواسطة الملاك هو حقيقى : بل يظن أنه ينظر رؤيا . فجازا المحرس الأول والثانى ، وأتيا الى باب الحديد الذى يؤدى الى المدينة . فانفتح لهما من ذاته . فخرجا وتقدما زقاقا واحدا . وللوقت فارقه الملاك » (أع ١٢ : ٨ — ١٠) .

ولماذا لم يحدث هنا ما حدث لبولس وسيلا ؟ لان النية كانت متجهة لا طلاق سراحهما . ولم يشأ الله أن يطلق سراحهما بهذه الكيفية . أما فى حالة بطرس فقد كانت النية مبيتة على قتله . ثم ماذا ؟

قد يقول قائل : ألم يكن الأمر مذهلا أكثر جدا لو كان قد اقتيد وسلم ليدى الملك ، ثم اختطف من وسط الخطر الشديد ، دون أن يلحقه أى اذى ؟ وعلاوة على هذا فان العسكر أيضا لم يصبهم أى ضرر وقد كثر الحديث عن هذا الموضوع . فالبعض يقولون : ما هذا ؟ هل أنقذ الله عبده بقصاص الآخرين ، وهلاك غيرهم وأول ما نقوله هو ان هذا لم يتم بهلاك الآخرين ، لأن العناية الالهية لم ترتب هذا ، لكنه نشأ من قسوة الوالى . وكيف كان ذلك ؟ فالله بعنايته الالهية لم يرتب فقط أن ينجو هؤلاء من الهلاك ، بل أن يخلص الوالى ، كما حدث فى أمر السجان . لكنه لم يحسن استخدام البركة . فقد قيل : « فلما صار النهار حصل اضطراب ليس بقليل بين العسكر ترى ماذا جرى لبطرس » (ع ١٨) .

وماذا حدث بعد هذا ؟ لقد فحص هيرودس الأمر فحصا دقيقا ، وقيل انه « فحص الحراس وأمر أن ينقادوا الى القتل » (اع ١٢ : ١٨ و ١٩). والواقع انه لو لم يكن قد فحصهم فربما كان يلتمس له العذر لقتلهم . لكنه استدعاهم ، وفحصهم ، وأدرك أن بطرس كان قد اوثق ، وان السجن كان قد أحكم اغلاقه ، وأن الحراس كانوا امام الأبواب . لم تنقب حائط واحدة ، ولم يفتح باب واحد ، ولم يوجد دليل واحد على ارتكاب أى غش أو تدليس . وكان يجب أمام هذا كله ان يخاف من سلطان الله الذى اختطف بطرس من وسط الاخطار الشديدة ، وأن يعبد ذاك الذى استطاع ان يقوم بتلك الاعمال المجيدة . بل بالعكس أمر يقتل أولئك الرجال .

فكيف يمكن أن يقال ان الله هو السبب ؟ هل كان هو الذى نقب الحائط لينجو بطرس . ألا يجب ان يكون السبب هو أهمالهم ؟ لكن ان كان

الله قد رتب كل شيء باعمال عنايته ، بحيث يتضح أن العمل لم يكن يعزى لشر الانسان ، بل لعمل الله المعجزى ، فلماذا تصرف هيرودس هكذا ؟ لانه لو كان بطرس قد قصد أن يهرب الهرب والقيــود فى يديه • لو كان قد قصد أن يهرب لما كان قد خطر بباله أن يلبس نعليه ، بل لكان قد تركهما • أما وقد أمره الملاك بان يلبس نعليه ، فقد كان ذلك لكى يعلموا ان تصرف بطرس لم يكن تصرف شخص هارب ، بل تصرف شخص كان له الوقت الكافى ليفعل كل شيء فى تؤدة • لأنه اذ كان « مربوطــا بسلسلتين بين عسكريين » فانه لم يكن ممكنا أن يجد الوقت الكـــافى ليحل السلسلتين أيضا • ســـيما وقد كان فى السجن الداخلى مثل بولس • اذن فقد كان قصاص حراس السجن يعزى لشر الوالى • لأنه لماذا لم يتصرف اليهود بنفس الكيفية (١) ؟

والآن أتذكر سجنا آخر • كان السجن الأول فى روما ، والثانى فى قيصرية ، والان نأتى الى السجن فى أورشـــليم • فان رؤســاء الكهنة والفريسيين عندما أرسلوا الى الســجن لاخراج بطرس لم يجدوا أحدا فى الداخل ، لكن « الحبس كان مغلقا بكل حرص والحراس واقفين خارجا » • لكنهم لم يكتفوا بان لا يقتلوا الحراس ، بل « ارتابوا من جهتهم ما عسى أن يصير هذا » (أع ٥ : ٢١ ــ ٢٤) •

وان كان اليهود ، مع ميلهم الى القتل من جهة هؤلاء ، لم يفكروا فى شيء من هذا القبيل ، فكان الاحرى بك أن لا تفعل شيئا ، مع أنك كنت تفعل كل شيء لارضاء أولئك اليهود • لأن هذا الحكم الظالم بالانتقام تغلب على هيرودس سريعا •

واذا ما اشتكى احد من هذا فليته يشتكى أيضا بسبب أولئك الذين قتلوا فى الطريق العـــام ، والعشرة آلاف الآخرين الذين قتلوا ظلما ، وبالاكثر بسبب الأطفال الذين قتلوا وقت ولادة المســيح • لأن المسيح أيضا ــ حسب منطقك ــ كان هو السبب فى قتلهم • لكن المسيح لم يكن هو السبب ، بل بالحرى جنون وظلم أبى هيرودس •

ولعلك تسأل : لماذا لم يخطف الله المسيح من يدى هيرودس ؟ صحيح انه كان يقدر أن يفعل هذا • لكن لم تكن هنالك جدوى من هذا الفعل • فكم مرة ــ على الأقل ــ أفلت المسيح من أيديهم ؟ ومع ذلك اى خير صنعه هذا للشعب عديم الاحساس ؟ بينما تم نفع جزيل للمؤمنين مما تم • لأنه

(١) أى عندما سجنوا الرسل كما هو مدون فى (أع ٥ : ١٨) •

اذ دونت الاحداث (والاعداء أنفسهم شهدوا لما حدث) فقد كانت الشهادة لا يرقى اليها الشك قط • وكما حدث وقتئذ اذ استدت أفواه الاعداء بسبب الاشخاص الذين شهدوا بما حدث ، هكذا كان الحال هنا أيضا • فلماذا لم يفعل السجان شيئا مما فعله هيرودس ؟ بل ان ما شهده هيرودس كان لا يقل دهشة عما شهده هذا الانسان • كان خروج سجين والأبواب مغلقة أقل دهشة من خروج بعض المسجونين والابواب مفتوحة • والواقع ان هذا الأمر الأخير قد يعتبر أمرا خياليا ، أما الآخر فلم يكن ممكنا ان يعتبر هكذا عندما يروى بكل تفصيل ووضوح • ولذلك فلو كان هذا الرجل شريرا كهيرودس لكان قد قتل بولس كما قتل هيرودس العسكر • لكنه لم يكن هكذا •

ولو سأل أى امرىء : « لماذا سمح الله بقتل الاطفال أيضا ؟ » لاضطررت للدخول فى مناقشة أطول مما قصدت أن احدثك به •

وعلى أى حال فلنختم حديثنا بتقديم الشكر الجزيل لسلسلة بولس ، لأنها صارت لنا مصدر بركات جزيلة ، وأتاحت لنا الفرصة لتقديم النصيحة لكم – اذا ما تألمتم من أجل المسيح – لا أن تتذمروا ، بل ان تفرحوا كما فعل الرسل ، بل أن تفتخروا ، كما قال الرسول بولس : « فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى » (٢ كو ١٢ : ٩) ، فانه بسبب هذا سمع أيضا تلك الكلمات « تكفيك نعمتى »

لقد افتخر بولس بالقيود ، وهل تفتخر أنت بالثروة ؟ والرسل فرحوا لأنهم حسبوا مستأهلين أن يجلدوا ، وهل تسعى أنت وراء الراحة والتنعم ؟ وعلى أى أساس تتمنى ان تصل الى النهاية التى وصلوا اليها ان كنت وانت هنا على الأرض تسير فى طريق يختلف عن الطريق الذى سلكوه ؟

قال الرسول بولس : « والآن ها أنا أذهب الى اورشليم مقيدا بالروح ، لا أعلم ماذا يصادقنى هناك ، غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا ان وثقا وشدائد تنتظرنى » (أع ٢٠ : ٢٢) •

ولما سئل : فلماذا تذهب ان كانت هنالك وثق وشدائد تنتظرك ؟ أجاب قائلا : لكى أوثق من اجل المسيح ، واموت من اجل المسيح • « لانى مستعد ليس أن أربط فقط ، بل ان اموت ايضا لأجل اسم الرب يسوع » (أع ٢١ : ١٣) •

مغزى أدبى

طوباك يا بولس . بأى شىء كنت تفتخر ؟ بالوثق ، والشدائد ، بالسلاسل ، والجروح . اسمعه يقول : « لأنى حامل فى جسدى سمات (٢) الرب يسوع » (غل ٦ : ١٧) ، كأن هذه السمات نصب تذكارية تذكرنى بالانتصار . واسمعه يقول أيضا : « لانى من أجل رجاء اسرائيل موثق بهذه السلسلة » (أع ٢٨ : ٢٠) . وأيضا : « الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل » (اف ٦ : ٢٠) .

ما هذا ؟ ألا تخجل ، ألا تخاف اذ تتجول فى العالم كسجين ؟ ألا تخاف من أن يتطاول أى واحد ويتهم ألهك بالضعف ؟ أو من ان يرفض أى واحد الاقتراب منك ، أو الانضمام الى كنيستك ؟ أما هو فاجاب قائلا : كلا ، فان سلسلتى لا تنم عن هذا . فانها يمكنها أن تلمع مضيئة حتى فى قصور الملوك . « ان وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الاماكن أجمع . وأكثر الأخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف » (فى ١ : ١٣ و ١٤) .

تأمل فى القوة التى تحملها هذه القيود أقوى من قوة اقامة الموتى . انهم اذ يرون قيودى يزدادون شجاعة . فحيثما وجدت القيود وجد بالضرورة شىء عظيم . حيثما وجدت الشدائد وجد الخلاص يقينا ، وجد العزاء ، وتوفرت أعمال البطولة . لأن الشيطان اذا رفس كان هذا بلا شك علامة على أنه قد لحق به أذى . واذا قيد خدام الله ازدادت كلمة الله نباتا .

ولاحظ أن هذا هو ما يحدث فى كل مكان . فبولس يقول انه عندما سجن اتمت قيوده نفسها هذه الأمور . لما سجن فى روما ربح للمسيح عددا أوفر من المتجددين . فانه لم تشتد شجاعته هو فقط ، بل شجاعة الكثيرين بسببه . اذ انه لما سجن فى أورشليم أذهل الملك وهو فى قيوده (أع ٢٦ : ٢٨) ، وجعل الوالى يرتعب (أع ٢٤ : ٢٥) .

فالكتاب يقرر بانه اذ خاف صرفه ، والذى قيده لم يخجل من أن يتلقى تعليمات ـ ممن قيده ـ عما كان سيحل به من أمور عتيدة . فى قيوده سافر بحرا ، وتحمل انكسار السفينة بشجاعة ، وثبت أمام العاصفة . لما كان مقيدا نشبت فى يده أفعى ، فنفضها الى النار دون أن يتضرر بشىء ردىء (اع ٢٨ : ٣ ـ ٥) . لما كان مقيدا فى روما جذب الالوف الى المسيح .

(٢) آثار التئام الجروح .

وعلى أى حال فليست هذه القيود من نصيبنا فى هذه الأيام • ومع ذلك فهنالك قيود أخرى ان قبلناها • وما هى ؟ هى أن تقيد أيدينا عن الطمع • فلنقيد أنفسنا بها • ليكن خوف الله لنا عوضا عن القيود الحديدية • ينبغى أن نحل من ربطهم الفقر أو الشدائد • لا وجه للمقارنة بين فتح أبواب السجن وبين حل قيود من استعبدته الخطية • لا وجه للمقارنة بين حل قيود مسجون وبين ارسال المنسحقين فى الحرية (لو ٤ : ١٨) • فهذا العمل الأخير أفضل جدا من الأول • العمل الأول ليس له أجر ، أما الأخير فله عشرة آلاف أجر •

كانت سلسلة بولس طويلة ، وقد تطلبت منا وقتا طويلا للتأمل فيها • نعم انها طويلة فعلا ، وهى أجمل من أية سلسلة ذهبية • هى سلسلة تسحب الذين ربطوا بها لتأخذهم الى السماء ، كانها تسحبهم بآلة ميكانيكية غير منظورة ، وبحبل ذهبى مدلى لتسحبهم الى سماء السماوات • والعجيب فى الأمر انها ، اذ تربط فيما هو أسفل ، تسحب أسراها الى أعلى • والواقع انه ليست هذه هى طبيعة الاشياء نفسها • لكن حيث يأمر الله ويتصرف لا تفكر فى طبيعة الاشياء ، لكن فيما هو فوق الطبيعة •

فلنتعلم من هذا أن لا تخور عزائمنا وقت الشدائد ، أو نتذمر • فتأمل فى هذا الرسول العظيم • لقد جلد بعنف ، لأنه مكتوب عنه وعن سيلا انهم : « وضعوا عليهما ضربات كثيرة » • ثم انه قيد أيضا ، وألقى فى السجن الداخلى • ورغم تعرضه لأخطار شديدة ، فقد كان هو وسيلا « يسبحان الله » فى نصف الليل اذ كان الجميع نائمين لأنهم ربطوا بقيود أشد • وهل كان يمكن أن يوجد من هو أشد صلابة من هذين البطلين ؟ لقد كانا يتذكران كيف كان الفتية الثلاثة يسبحون الله ويترنمون حتى فى اتون النار المحمى سبعة أضعاف (دا ٣ : ١ ــ ٣٠) • ولعلهما حدثا نفسيهما قائلين : « اننا للان لم نكابد مثل هذه الشدائد » •

وكم كان جميلا أن حديثنا قادنا أيضا الى التأمل فى قيود أخرى ، وفى سجن آخر • وما العمل ؟ اننى أتمنى أن أصمت ، لكننى لا أستطيع • فقد اكتشفت سجنا آخر أشد عجبا • فتعال الآن متنبها واستمع الى كلامى • اننى أود أن أكف عن الحديث ، لكننى لا أستطيع • فكما ان من يشرب لا يمكنه أن يكف عن الشرب مهما قدم اليه من اغراء ، هكذا لا أستطع أنا الآن أن أكف عن الحديث عن كأس سجن الذين سجنوا من أجل المسيح • وان كان بولس فى سجنه لم يستطع السكوت ، ليلا ، فهل يليق بى ، وأنا

جالس (٣) هنا نهارا ، وأتكلم وأنا مســـتريح ، أن التزم الصمت ، مع أن الذين كانوا مقيدين ، ويجلدون ، فى نصف الليل ، لم يطبقوا الصمت ؟ لم يصمت الفتية الثلاثة وهم فى أتون النار ، افلا نخجل نحن من الصمت ؟

ولنتأمل الآن فى هذا السجن أيضا • هنا نراهم أيضا مقيدين • لكن كان واضحا منذ البداية انهم ســـوف لا يحترقون ، بل كانوا كأنهم فقط داخلون فى سجن • ولماذا تربطون أناسا سوف يطرحون فى النار المتأججة ؟ لقد ربطت أيديهم وأقدامهم مثل بولس الرسول • لقد ربطوا بعنف وبكل احكام كما حدث مع بولس • فالسجان طرحه فى السجن الداخلى ، كما أمر الملك أن يحمى الأتون سبع مرات •

والآن لنتأمل فى النتيجة • عندما ترنم بولس وسيلا تزعزع السجن ، وانفتحت الأبواب ، وعندما ترنم الفتية الثلاثة انحلت قيود أيديهم وأرجلهم • انفتحت أبواب السجن ، كما انفتحت أبواب الاتون • لان نسيما منعشا هب عليه •

لكن هنالك أفكار كثيرة تتزاحم فى ذهنى • ولست أدرى ماذا أقول أولا ، وماذا أقول بعـــد ذلك • ورجائى أن لا يطالب منى أحـــد مراعاة الترتيب ، لأن المواضيع كلها مرتبطة ببعضها •

لقد حلت قيود من كانوا مقيدين مع بولس وسيلا ، ورغم هذا كانوا نائمين • أما فى حالة الفتية الثلاثة فقد حدث عكس هذا • فالاشـــخاص الذين حملوهم وطرحوهم احترقوا هم أنفسهم وماتوا • وبعـــد ذلك أبصر الملك الفتية محلولين فخر أمامهم ساجدا • لقـــد سمعهم يترنمون ، ورأى « أربعة رجال محلولين يتمشون فى وسط النار » ، فدعاهم • ومع أن بولس كان قادرا على الخروج فانه لم يخرج الا بعد أن دعاه حافظ السجن وأخرجه ، كذلك لم يخرج الفتية الثلاثة الا بعد أن أمرهم بالخروج من كان قد طرحهم فى النار •

واى درس نتعلمه من هذا ؟ يجب أن نتعجل فى تمنى الاضطهاد • كما يجب أن لا نلح فى طلب الانقاذ من الشدائد عندما تأتينا ، كما يجب ــ من الناحية الأخرى ــ أن لا نستمر فيها اذا ما أنقذنا منها • ثم أيضا : وحافظ السجن خر عند أقدام ، بولس وسيلا ، اذ كان قادرا على الدخول اليهما •

---

(٣) كانت العـــادة قديما ان يلقى الواعظ عظته وهو جالس بينما يكون المستمعون جالسين •

أما الملك فجاء الى باب الاتون ، وخر ساجدا للفتية الثلاثة • ولم يجسر على الاقتراب من السجن الذى كان قد أعده لهم فى أتون النار •

ثم لاحظ كلماتهم • فحافظ السجن صرخ قائلا : « يا سيدى ، ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ » (أع ١٦ : ٣٠) • اما الملك ، فقال بصوت عذب ، وان لم يكن باتضاع شديد : « يا شدرخ ويشنح وعبدنغو ، يا عبيد الله العلى ، اخرجوا وتعالوا » (دا ٣ : ٢٦) • يا لها من عظمة سامية • « يا عبيد الله العلى ، اخرجوا وتعالوا » • كيف كان ممكنا أن يخرجوا أيها الملك ؟ لقد طرحتهم فى النار موثقين • وقد لبثوا فى النار هذه الفترة الطويلة • لو كانوا قد خلقوا من مادة صلبة أما كان يجب أن يفنوا وهم يترنمون بهذه الترنيمة الطويلة ؟ لكنهم نجوا لأنهم سبحوا الله • لقد وقرت النار استعدادهم لتحمل الآلام ، وبعد ذلك وقرت تسبيحهم الرائع الجمال •

وما هو اللقب الذى لقبتهم به ؟ سبق أن قلت « يا عبيد الله العلى » • نعم ، كل شىء مستطاع لعبيد الله • لأنه ان كان للبعض ــ الذين هم خدام الناس ــ سلطان التصرف فيما يعنيهم ، فبالأولى يكون لعبيد الله هذا السلطان • لقد دعاهم باسمائهم المحبوبة لديهم ، عالما أنه انما يتملقهم • لانهم ان كانوا قد دخلوا النار لكى يستمروا أن يكونوا عبيد الله ، فانه لم يكن هنالك لقب أكثر عذوبة من هذا • لو كان قد دعاهم ملوكا ، أو أسياد العالم ، لما كان قد أدخل البهجة الى قلوبهم بقدر ما فعل عندما قال « يا عبيد الله العلى » •

ولماذا تتعجب من هذا ؟ فان بولس عندما كتب الى المدينة العظيمة ـ روما ــ سيدة العالم ، التى كانت تفتخر بعظمتها ، لم يلقب نفسه باعظم من هذا : « بولس عبد ليسوع المسيح » (رو ١ : ١) معتقدا أن هذا اللقب مساو لكرامة وشرف روما ، بل أعظم بكثير جدا ، بل أعظم من كرامة لقب الملوك والامراء والولاة ، بل أعظم من كرامة سيدة العالم • « يا عبيد الله العلى » ، كأنه قد قال : « نعم ، انهم ان كانوا قد أظهروا غيرة شديدة ، ودعوا أنفسهم عبيدا ، فلا شك فى أن هذا هو اللقب الذى نرضيهم به •

ثم لاحظ أيضا تقوى الفتية الثلاثة • انهم لم يظهروا أى أثر للسخط ، أو الغضب ، أو التذمر ، أو الاعتراض ، بل خرجوا • لو كانوا قد اعتبروا أن القاءهم فى الاتون انتقام منهم ، لأظهروا سخطهم على الشخص الذى ألقاهم فيه • لكنهم لم يظهروا شيئا من هذا ، بل خرجوا منه كأنهم خارجون من السماء نفسها • وماذا قال النبى عن الشمس : « هى مثل العروس الخارج من حجلته » (مز ١٩ : ٥) • ولا يخطئ المرء أن قال هذا عنهم • لكن

الشمس تخرج هكـذا ، أما هم فقد خرجوا فى حالة أمجـد من الشمس . فالشمس تخرج لتنير العالم بالنور الطبيعى ، أما هم فقـد خرجوا لينيروا العالم بكيفية أخرى ، أعنى بكيفية روحية . وبسببهم أصدر الملك فى الحال أمرا ملكيا يحوى هذه الكلمات : « الآيات والعجائب التى صـنعها معى الله العلى حسن عندى أن أخبر بها . آياته ما أعظمها ، وعجـائبه ما أقواها » (دا ٤ : ٢ و ٣) . .

وهكذا خرجوا يذيعون نورا مجيدا جدا يسطع فى تلك المنطقة نفسها ، بل فى العالم كله ، بواسطة الأمر الملكى الذى أصدره الملك ، ويبدد الظلمة التى أنتشرت فى كل مكان .

« اخرجوا وتعالوا » . لم يصدر أمرا لاطفاء النار ، لكنه بهذا أكرمهم بصفة خاصة ، باعتقاده أنهم قادرون ليس فقط على التمشى فيها ، بل حتى على الخروج منها وهى لازالت مشتعلة .

ثم لنتأمل أيضا — ان حسن هذا عندك — فى كلمات حافظ السجن . « يا سيدى ، ماذا أفعل لكى أخلص ؟ » هل هنالك كلمات أحلى من هذه ؟ هذه تجعل الملائكة نفسها ترقص طربا . أليس عجيبا جدا أن نسمع بان ابن الله الوحيد نفسه صار عبدا ؟ وهـذه الكلمات وجهها المؤمنون لبطرس فى البداية (أع ٢ : ٣٧) : « ماذا نصنع ؟ » . وماذا قال فى رده : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم » . واذ كان الرسـول بولس يتوق من كل قلبه لخلاص اليهود فقد كان يتمنى أن يسمع هذه الكلمات منهم ، بل كان يرتضى أن يطرح فى جهنم نفسها .

لكن لاحظ أنه حملهم كل المسئولية . فلنتأمل فى النقطة التـالية . فالملك لم يقل هنا : ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ لكن كلامه يبين بانه أصبح كارزا . فانه فى الحال بدأ يكرز دون حاجة الى معلم كما كان الحال مع حافظ السجن . فقد اعترف بالله ، واعترف بسلطانه . « حقا ان الهكم اله الالهة ورب الملوك ، لأنه أرسل ملاكه وأنقذ عبيده » (دا ٢ : ٤٧ ، ٣ : ٢٨) .

وماذا كانت النتيجة ؟ لم يتلق التعليم سجان واحد مما كتب الملك ، ومن رؤية الأمر الواقع ، بل عدد وفير جدا . اذ هو واضح لكل انسان أن الملك لم يكن ممكنا أن يقرر حقائق كاذبة ، لأنه لم يكن ممكنا قط أن يقـدم شهادة كهذه لجماعة من الاسرى ، أو يهـدم تصرفاته . لم يكن ممكنا أن يوجه تهمة بمثل هذا الجنون . لأنه لو لم يكن الحق واضـحا جدا لما كتب بمثل هذه اللهجة ، وأمام اشخاص كثيرين كاولئك .

ألست ترى مقدار قوة تلك القيود ؟ وعظمة قدرة تلك التسبيحات التى رنمت فى الشدائد ؟ فقلوبهم لم تضعف ، ولم ينكسر خاطرهم ، بل ازدادوا قوة وشجاعة ·

ونحن اذ نتأمل فى هذه الأمور يبقى أمامنا سؤال واحد · لماذا حدث فى السجن أن كل المسجونين انفكت قيودهم ، بينما حدث فى التنور أن كل منفذى الاعدام التهمتهم النار · فهذا كان ينبغى أن يكون هو مصير الملك نفسه · فلا الذين ربطوا الفتية ، ولا الذين ألقوهم فى الاتون ، مسئولون عن الخطية الشنيعة التى ارتكبت : بل كان المسئول هو من أمر بارتكابها · فلماذا هلكوا ؟ ولا داعى للتدقيق فى بحث هذا الأمر ، لأنهم كانوا أشرارا جدا · ولذلك رتبت العناية الالهية أن تتم الأمور على هـــذا الوجه ، لكى تتبين قوة النار ، وتتبين عظمة المعجزة · لأنه ان كان الذين فى الخارج قد هلكوا فكيف نجا الذين فى الداخل دون أن يصيبهم أذى ؟ لقد ظهرت قدرة الله بكيفية عجيبة جدا · ولا يعجبن أى انسان ان كنت قد وضعت الملك فى مستوى واحد مع حارس السجن ، لأنه قد فعل نفس الأمر · ولم يكن أى واحد منهما أكثر نبلا من الآخر · وقد لقى كل منهما جزاءه ·

وكما قلت ، ان الابرار يزدادون نشاطا عندما تحل بهم الشدائد بصفة خاصة ، وكذا عندما يكونون فى القيود · لأن احتمال الآلام من أجل المسيح هو أعذب كل التعزيات ·

وهل تسمح لى بان أذكرك بسجن آخر ؟ يبدو لى أنه من الضرورى أن نتقدم من هذه السلسلة الى سجن آخر · وأى السجون تفضل ؟ هل سجن ارميا ، أم يوسف ، أم يوحنا المعمدان · شكرا لسلسلة بولس ، فقد فتحت أمامنا المجال للاستمرار فى أحاديث أخرى · اتريد ان نتـــأمل فى سجن يوحنا المعمدان ؟ لقد قيد هو أيضا من أجل المسيح ، ومن أجل ناموس الله · ثم ماذا ؟ هل كان كسولا لما كان فى السجن ؟ ألم يرسل من هناك ــ على يد اثنين من تلاميذه ــ وسأل المسيح قائلا : « أنت هو الاتى أم ننتظر آخر ؟» (مت ١١ : ٢ و ٣) · وحتى عندما كان هناك يبدو أنه كان يعلم ، لأنه يقينا لم يهمل مهمته ·

وأيضا ، ألم يتنبأ ارميا عن ملك بابل ، ويتمم عمله حتى عندما كان فى السجن ؟ وماذا نقول عن يوسف ؟ ألم يبق فى السجن ثلاث عشرة سنة ؟ ثم ماذا ؟ انه لم يهمل مهمته حتى عندما كان هناك ·

سوف أذكر قيودا أخرى ، وبهذا أختم حديثى · فان ربنا يسوع المسيح

نفسه ، الذى حرر العالم من قيود الخطية قيد هو أيضـــا • لقد قيدت يداه اللتان عملتا عشرات الالوف من أعمال البر والخير • فقد قيل انهم « أوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى » (مت ٢٧ : ٢ ، يو ١٨ : ٢٤) • نعم ، ان الذى عمل عجائب كثيرة جدا أوثقت يداه •

واذ نتأمل فى هذه الأمور يجب أن لا نتذمر قط بل لنفرح ان كنـــا مقيدين • وان لم نكن مقيدين فلنكن كأننا مقيدون مع المسيح (عب ١٣ : ٣)• اذكر ان القيود بركة عظيمة • واذ تدرك هذا كله فلنشكر الله من أجل كل شىء ، وذلك بالمسيح يسوع ربنا ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن والى الابد • آمين ؟

العظة التاسعة

(ص ٤ : ١ – ٣)

« فاطلب اليكم ، أنا الاسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها • بكل تواضع ووداعة ، وبطول أناة ، محتملين بعضكم بعضا فى المحبة • مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام » •

هكذا اتضح أن قيود بولس كانت عظيمة ، وأمجد من المعجزات • اذن فلم يكن عبثا أن يبرزها هنا ، كما قد يبدو ، ولم يكن بدون هدف • لكنه أراد – فوق كل شىء – أن يحرك عواطفهم • فماذا قال : « فأطلب اليكم – أنا الاسير فى الرب – أن تسلكوا كما يحق للدعـــوة التى دعيتم بها » • وكيف يتم هذا ؟ « بكل تواضع ، ووداعة ، وبطول أناة ، محتملين بعضكم بعضا فى المحبة » •

لم يكن مجرد كونه أسيرا هو الذى منحه الشرف • بل كونه أسيرا من أجل المسيح • ولهذا قال « أنا الاسير **فى الرب** » ، أى الاسير من اجل المسيح • لا شىء يماثل هذا • والآن ، ان هذه القيود تجذبنى لتبعدنى عن موضوع حديثى ، وتدفعنى الى الخلف ثانية ، فاصبحت عاجزا عن مقاومتها ، لكننى أتباعد تلقائيا ، بل بالحرى بكل قلبى • وأتمنى لو ســـمح لى دواما باطالة الحديث عن قيود بولس •

والآن أرجو أن لا تمل ، فاننى أود ان اجيب عن هذا السؤال الآخر ، الذى قد يفتح المجال للتساؤل : اذآ ما قيل ان الآلام تنيل المجد فكيف يقول بولس نفسه فى دفاعه أمام أغريباس : « كنت أصلى الى الله انه بقليـــل وبكثير ، ليس أنت فقط ، بل أيضا جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود » (أع ٢٦ : ٢٩) •

حاشا لله أن يكون قد قال هذا على أساس التحقير من شأن القيود ، والا لما كان قد افتخر بالقيود والسجون ، والضيقات الاخرى • وعنـــدما كتب فى مكان آخر قال : « فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضـــعفاتى » (٢ كو ١٢ : ٩) • وكيف تعلل هذا ؟ كان هـــذا نفسه • برهانا على اعتقاده بعظمة تلك القيـــود ، لأنه كمـــا كتب لأهل كورنثوس قائلا : « ســـقيتكم لبنـــا لا طعـــاما لأنكم لم تكـــونوا بعـــد تطيعـــون » (١ كو ٣ : ٢) هكذا كان الحال هنا أيضا • فان من كان يتكلم أمامهم لم يقدروا أن يسمعوا عن جمـــال تلك القيـــود ، وبهائها ، وبركتها • ولهذا

أضاف هذه العبارة « ما خلا هذه القيود » وعندما كتب الى العبرانيين حثهم على أن يعتبروا أنفسهم مقيدين مع المقيدين (عب ١٣ : ٣) ٠

ولهـــذا افتخر هو نفسه في قيوده ، ورحب بالقيـــود ، واقتيد مع المسجونين الى السجن الداخلي ٠ كانت قيود بولس مقتدرة جـــدا ٠ كان منظرا جميلا التطلع الى بولس مقيدا ، وخارجا من سجنه ، والتطلع اليه مقيدا وجالسا داخل السجن ٠ هذا منظر يبعث فى النفس السرور ٠ هذا منظر جميل يستحق أن يدفع فيه ثمن غال ٠

ألست ترى الأباطرة ، والولاة ، جالسين فى عرباتهـــم ، ومتزينين بالذهب مع حاشيتهم ؟ رماحهم من ذهب ، دروعهم من ذهب ، ثيابهم مطرزة بالذهب ، ورشمة خيولهم من ذهب ؟ كل هذا لا يساوى شـــيئا ازاء ذلك المنظر ٠ اننى أفضـــل أن أرى بولس مرة واحدة خارجا من ســـجنه مع المسجونين عن التطلع الى هذه المباهج عشرات الالوف من المرات ٠ كم من الملائكة كانوا يفسحون الطريق أمامه عندما اقتيد للخروج من السجن ٠ ولكى تدرك اننى لست أتكلم عن خيال فساوضح لك هذا مما قيل قديما ٠

عندما كان ملك أرام يحارب ملك اسرائيل كان أليشع النبى يكشف لملك اسرائيل عن الخطط الحربية التى كان يدبرها سرا وهو جالس فى بيته ، فصارت هذه الخطط عديمة الجـــدوى ، اذ كان أليشع يعلنها مقدما لملك اسرائيل ، وهكذا نجا ملك اسرائيل من الفخاخ التى كانت تنصب له ٠ هـــذا أزعج ملك أرام ، الذى ارتبك جـــدا ، ولم يدر كيف يكتشف ذاك الشخص الذى كان ينقل كل أسراره لملك اسرائيل وكل مؤامراته ضـــده (٢ مل ٦ : ٨ ــ ١٢) ٠

واذ كان فى حيرته ، وكان يفحص قضيته هـــذه ، قال له واحد من حاملى سلاحه ان هنالك نبيا يدعى أليشع ، مقيما فى السامرة ، « يخبر ملك اسرائيل بالامور التى يتكلم بها فى مخدع مضـــجعك » ٠ توهم الملك بانه اكتشف كل السر ٠ لكن الواقع انه كان مخدوعا جدا ٠ كان يجب على الملك أن يكرم اليشع ويوقره ، ويخافه ، لان له هذه القدرة العجيبة أن يعرف ــ وهو جالس فى بيته بعيدا جدا عن مكان اقامة الملك ــ كل ما كان يجرى فى مخدعه دون حاجة الى أى واحد ينقل اليه هذه الانباء ٠ لكنه مع الأسف لم يكرمه ، ولم يوقره ، بل اشتعل غضـــبه ، وأرسل اليه « خيلا ومركبـــات وجيشا ثقيلا » لاحضار النبى اليه ٠

كان لا أليشع تلميذ يؤهل ليكون نبيا (٢ مل ٦ : ١٣ ألخ) ، ولم يكن الى ذلك الوقت جديرا بان يرى رؤى كهذه ٠ وصل جنـــود الملك فى

الحال ، قاصدين أن يقيدوا النبى • (ومرة أخرى أتحدث عن القيود التى يتردد ذكرها كثيرا فى هذا الحديث) • وعندما رأى تلميذ أليشع الجيش الثقيل انزعج ، وركض وهو ممتلىء خوفا ، وأخبر معلمه بالنكبة (كما حسبها) وخبره عن الخطر المحتم الذى سوف يحل بهما • فضحك النبى عليه لخوفه من أمور لا تستحق الخوف ، وأمره بان لا يخاف • أما التلميذ ، فاذ لم يكن قد نضج فى المعرفة بعد ، فانه لم يصغ اليه ، بل استمر فى خوفه لأنه كان مذهولا من المنظر •

وماذا فعل أليشع ازاء هذا ؟ « وصلى أليشع وقال : يارب افتح عينى هذا الشاب ، ودعه يرى أن الذين معنا أكثر من الذين معهم » (٢ مل ٦ : ١٦ و ١٧) • وللحال « أبصر واذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار » • وهؤلاء لم يكونوا سوى صفوف من الملائكة • وان كان كل أولئك الملائكة قد جاءوا لنجدة أليشع فى مناسبة كهذه ، فكم كان عدد الملائكة الذين جاءوا الى بولس ؟ هذا ما يحدثنا عنه داود النبى : « ملاك الرب حال حول خائفيه » (مز ٣٤ : ٧) • وأيضا : « على الايدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك » (مز ٩١ : ١٢) •

ولماذا أتحدث عن الملائكة ؟ فالرب نفسه كان معه عندما خرج • فيقينا ان الذى رآه ابراهيم لم يكن ممكنا أن لا يكون مع بولس • فهذا هو وعده : « ها أنا معكم كل الأيام الى أنقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) • وأيضا عندما ظهر له قال : « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت • لانى أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ و ١٠) • وأيضا وقف به فى حلم وقال له : « ثق يا بولس ، لانك كما شهدت بما لى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضا » (أع ٢٣ : ١١) •

ومع أن القديسين يكونون فى كل الأوقات منظرا مجيدا ، وممتلئين نعمة جزيلة ، فانهم بصفة خاصة يكونون هكذا عندما يعرضون للاخطار من أجل المسيح ، وعندما يكونون أسرى فى السجون • وكما أن الجندى الشجاع يكون فى كل الأوقات ، ومن تلقاء نفسه ، منظرا جميلا لكل من ينظرون اليه ، ويكون هكذا بصفة خاصة لما يكون فى الصفوف بجانب الملك ، فكذلك أيضا الحال مع بولس عندما كان يرى وهو يبشر فى قيوده •

أتسمحون لى ، بهذه المناسبة ، أن أذكر فكرة خطرت ببالى هذه اللحظة ؟ كان المغبوط الشهيد بابيلاس (١) مقيدا ، وهو أيضا قيد لنفس

(١) كان أسقفا لانطاكية من ٢٣٧ الى ٢٥٠ م حيث استشهد اثناء الاضطهاد الذى اثاره الامبراطور داكيوس •

السبب الذى لأجله قيد يوحنا المعمدان ، لأنه وبخ ملكا من أجل اعتدائه على الناموس • كان هذا القديس قد أوصى - وهو يحتضر - بان تدفن جثته وهى مقيدة • والى اليوم لا تزال القيود مختلطة برماده الى هذا الحد وصلت محبته للقيود التى كان قد قيد بها من أجل المسيح • « فى الحديد دخلت نفسه » كما قال النبى عن يوسف • (مز ١٠٥ : ١٨) • حتى النساء قيدن قبل الآن بهذه القيود •

وعلى أى حال فاننا الان لسنا مقيدين ، ولست أوصيكم بان تقيدوا ، لانه لا يوجد الان مبرر للقيود • لكن لا تقيد يديك ، بل قيد قلبك وعقلك • لا تزال هنالك قيود أخرى ، والذين لا يقيدون بهذا القيد ، قد يضطرون لأن يقيدوا بآخر • استمع الى ما قاله المسيح : « اربطوا رجليه ويديه » (مت ٢٢ : ١٣) • ليت الله لا يسمح بأن نجرب بتلك القيود ، أما عن هذه فليسمح لنا بان تأخذ كفايتنا منها •

وعلى هذا الاساس قال : « فاطلب اليكم ، أنا الاسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها » • وما هى هذه الدعوة ؟ لقد قيل : « أنتم دعيتم لتكونوا جسده » • قد أعطى لكم أن يكون المسيح رأسكم • ومع أنكم كنتم أعداء ، وارتكبتم الشرور التى لا تحصى ، الا أنه « أقامكم معه ، وأجلسكم معه » (أف ٢ : ٦) • هذه دعوة عليا ، ودعوة لامتيازات عليا ، ليس فقط لأننا دعينا من تلك الحالة السابقة ، بل أيضا لأننا دعينا لامتيازات كهذه ، وبطريقة كهذه •

لكن كيف يمكن أن نسلك كما يحق لهذه الدعوة ؟ « بكل تواضع » • ان المتواضع هو الذى يسلك كما يحق لهذه الدعوة • التواضع هو أساس كل فضيلة • ان كنت متواضعا ، وتأملت فيما كنت عليه سابقا ، وفى الكيفية التى بها نلت الخلاص ، فانك تتخذ من هذه التأملات باعثا لكل فضيلة • سوف لا تنتفخ بسبب القيود ، أو الامتيازات نفسها التى ذكرتها ، لكنك سوف تتضع اذ تعرف أن الكل يعزى للنعمة • يستطيع المتواضع أن يكون فى الحال عبدا كريما شاكرا • قال الرسول بولس : « أى شىء لك لم تأخذه ؟ » (١ كو ٤ : ٧) • واسمع أيضا كلماته : « أنا تعبت أكثر منهم جميعهم • ولكن لا أنا ، بل نعمة الله التى معى » (١ كو ١٥ : ١٠)

«بكل تواضع» • ليس بالاقوال أو بالأفعال وحدها ، ولا حتى بسلوك المرء ، او نغمة صوته • لا تكن متواضعا مع واحد ثم خشنا مع آخر ، بل كن متواضعا مع كل الناس ، مع الصديق ومع العدو ، مع العظيم ومع الحقير • هذا هو

التواضع • كن متواضعا حتى فى أعمالك الصالحة • فاسمع ما قاله المسيح : « طوبى للمساكين بالروح » (مت ٥ : ٣) • وقد وضع هذه الوصية فى بداية كل التطويبات •

وقال الرسول أيضا : « بكل تواضع ووداعة وطول أناة » اذ يمكن أن يكون الانسان متواضعا لكنه يكون سريع الغضب ، وهكذا يكون تواضعه هباء ، لأنه كثيرا ما يغلب أمام الغضب ، ويتلف كل شىء •

« محتملين بعضكم بعضا فى المحبة » •

وكيف يمكن الاحتمال ان كان المرء سريع الغضب ، وسريع انتقاد الآخرين ؟ لهذا بين لنا الكيفية : « فى المحبة » • لقد أراد أن يقول : ان كنت لا تحتمل أخاك فكيف يحتملك الله ؟ ان كنت لا تحتمل زميلك فى الخدمة فكيف يحتملك السيد ؟ حيث توفرت المحبة أصبح كل شىء محتملا •

وقال أيضا : « مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام »• فقيد يديك اذن بالاحتفاظ بروح الاعتدال • ومرة أخرى نرى هذا الأسم الحلو « رباط » (قيود) • كنا قد صرفنا النظر عنه ، لكنه عاد الينا من تلقاء ذاته • كانت تلك القيود حلوة ، وهذه القيود (رباط) حلوة أيضا ، وتلك كانت ثمار هذه • اربط نفسك باخيك • والذين قد ارتبطوا معا بالمحبة يستطيعون أن يحتملوا كل شىء بسهولة • اربط نفسك باخيك ، واربط أخاك بنفسك • أنت سيد لنفسك ولأخيك ، لان الذى أشتاق بان أتخذه لى صديقا أستطيع أن أتمم هذا معه بالمحبة •

« مجتهدين » • هذه تنم عن أن العمل لا يتم بسهولة ، كما تنم عن أنه ليس فى قدرة كل انسان •

« مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح » • وما هى « وحدانية الروح هذه ؟ » فى الجسم البشرى توجد روح تجمع معا كل الاعضاء مهما تعددت • هكذا الحال هنا ، لأنه لأجل هذا أعطى الروح ، لكى يتحد الذين تفرقوا بسبب اختلاف الجنسيات ، ولأية أسباب أخرى • فالكل يصيرون واحدا : الكبير والصغير ، الغنى والفقير ، الطفل والشاب ، الرجل والمرأة ، وكل نفس • بل يتحدون معا برباط أقوى مما لو كانوا جسدا واحدا • فهذه الرابطة الروحية أقوى من أية رابطة طبيعية ، وتماسك الرابطة أكمل ، واتحاد النفس أكثر كمالا ، لأنه بسيط ومتسق •

وكيف يمكن الاحتفاظ بهذه الواحدنية ؟ « برباط السلام » فلا يمكن أن يكون لها وجود فى حالة العداوة والمنازعات • « فانه اذ فيكم حسد

وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر ؟ » (١ كو ٣ : ٣) فكما أن النار ان وجدت قطعا جافة من الخشب التهمتها وتصاعد منها لسان واحد من اللهب ، أما ان كانت مبللة بالماء فانها لا تؤثر فيها مطلقا ، ولا تتحدها معا • هكذا الحال هنا • فلا شيء له طبيعة باردة يستطيع أن يخلق هذه الوحدانية ، أما ما كانت له طبيعة حارة فانه يقدر • وهذا هو الذى ينشىء حرارة المحبة • والله يريد أن يجمعنا كلنا معا « برباط السلام » •

وكأنه يريد أن يقول انه بهذه الطريقة عينها ان أردت أن تلتصق بشخص آخر فانك لا تقدر أن تتمم هذا الا بان تلصقه بنفسك • وان أردت أن تجعل الرابطة مزدوجة فيجب أنه هو بدوره يلتصق بك • هكذا يريد الله أن نرتبط معا • ليس فقط بان نكون فى سلام وليس فقط بان نحب بعضنا بعضا ، بل بان نكون كلنا نفسا واحدة •

ما أمجد هذا الرباط • بهذا الرباط ينبغى أن يرتبط كل واحد منا بالاخر ، وبالله • هذا رباط لا يخدش قط ، ولا يشل حركة اليد التى يربطها ، بل تتركها حرة ، تيسر لها الحركة ، وتهبها شجاعة أكثر مما تمارسه الايدى الحرة • اذا ربط القوى بالضعيف دعمه ولا يدعه يهلك ، وأيضا اذا ربط بالكسول أنعشه وبعث فيه الحيوية • لقد قيل انه « اذا عضد الاخ أخاه صارا مدينة حصينة (١) » (أم ١٨ : ١٩) • هذه القيود لا يزعزعها بعد المسافة ، ولا السماء ، ولا الأرض ، ولا أى شيء آخر ، بل هى أقوى من كل شيء • ومع أنها تصدر من نفس واحدة فانها تستطيع أن تضم فى الحال أشخاصا كثيرين • استمع الى ما قاله بولس الرسول : « لستم متضيقين فينا ، بل متضيقين فى أحشائكم • كونوا أنتم أيضا متسعين » (٢ كو ٦ : ١٢ و ١٣) •

وما الذى يضعف هذا الرباط ؟ محبة المال ، شهوة الحصول على السلطة ، والمجد ، وما الى ذلك • هذا هو الذى يضعفه ، ويحطمه • وما الذى ينبغى أن نفعله لكى لا يتحطم ؟ ينبغى أن نتخلص من هذه المعطلات ، وأن لا ندع شيئا من هذه التى تهدم المحبة تدخل الينا لتزعجنا • استمع الى ما قاله المسيح : « ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين » (مت ٢٤ : ١٢) • لا شيء يقاوم المحبة مثل الخطية ، ولا أعنى محبة الله فقط ، بل محبة أخينا أيضا •

---

(١) هذه هى الترجمة السبعينية ، « الاخ أمنع من مدينة حصينة » حسب ترجمة بيروت •

ولكن قد يقال : هل يمكن أن يكون حتى اللصوص فى سلام ؟ قل لى : متى يكونون هكذا ؟ ليس عندما يعملون بروح اللصوص · لأنهم ان كانوا يعجزون عن أن يسلكوا بقواعد العدالة بين الذين يقتسمون معهم الغنائم ، ويعطوا كل واحد حقه ، فانهم يتصرفون هكذا أيضا فى الحروب والمشاجرات · هكذا ترى أنه لا يمكن وجود السلام بين الاشرار ، لكنك تستطيع أن تجده متوفرا فى كل مكان بين من يعيشون فى البر والفضيلة ·

وأيضا ، هل يوجد السلام بين المتنافسين ؟ كلا · اذن ، فمن هم الذين تريدنى أن أذكرهم ؟ ان الطماع لا يمكن ان يكون فى سلام مع الطماعين · ولذلك فان لم يوجد أشخاص أبرار وصالحون ليقفوا بينهم لتمزق شملهم جميعا · اذا اقتحمت المجاعة حيوانين بريين التهم أحدهما الآخر ان لم يوضع بينهما ما يلتهمانه · هكذا يكون الحال مع الطماع والجشع · ولا يمكن أن يوجد السلام حيث لم تمارس الفضيلة من قبل · اذا ما أسسنا مدينة لا يقيم بها الا الجشعون ، وأعطيناهم امتيازات متساوية ، ولا يحتمل أى واحد أية اساءة تلحقه ، لكن صاروا كلهم يسيئون بعضهم بعضا ، فهل يمكن أن تقوم لهذه المدينة قائمة ؟ هذا مستحيل · وأيضا هل يتوفر السلام بين الزناة ؟ كلا ، فلن تجد اثنين يتفقان فى الآراء ·

ولنعد الى الحديث ثانية · لا يوجد مبرر لكل هذا الا لأن المحبة قد بردت · وسبب برودة المحبة هو « كثرة الاثم » · هذا يؤدى الى محبة الذات ، وتقسيم الجسد ، وتفرق أعضائه ، وتفككه ، وتمزقه · لكن اذا فوفرت الفضيلة حدث العكس · لأن المتحلى بالفضيلة يتسامى عن محبة المال ، بحيث اذا وجد عشرة آلاف فقير تمتعوا كلهم بالسلام · أما الجشعون فان وجد منهم اثنان فقط انعدم السلام من بينهما · اذن فان توفرت الفضيلة بيننا بقيت المحبة ، لأن الفضيلة تنبع من المحبة ، والمحبة تنبع من الفضيلة ·

وسافيدكم كيف يكون هذا · ان الرجل الفاضل لا يفضل المال على الصداقة ، ولا يتذكر الاساءات ، ولا يسىء لاخيه · فهو ليس وقحا ، بل يتحمل كل الاشياء بروح نبيلة · والمحبة تتضمن فى هذه الاشياء · وأيضا ان من يحب يخضع لكل هذه الاشياء ، وهكذا يدعم كل شىء غيره بالتبادل · وكون المحبة تنبع من الفضيلة يتبين من هنا ، لأن الرب عندما قال « لكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين » قال هذا بكل وضوح · وبين الرسول بولس أن الفضيلة تنبع من المحبة قائلا : « المحبة هى تكميل الناموس » (رو ١٣ : ١٠) · وهكذا اما أن يكون المرء ودودا جدا ، أو فاضلا جدا · لأن من تتوفر فيه احدى الصفتين لابد أن تتوفر فيه الثانية · وبالعكس : ان من لا يعرف كيف يحب يرتكب شرورا كثيرة · ومن يرتكب الشرور لا يعرف كيف يحب ·

مغزى أدبى

اذن فلنتبع المحبة (١ كو ١٤ : ١) ، فهى تحمينا ، ولا تدعنا نرتكب أى شر · فلنرتبط بعضنا ببعض · ينبغى أن لا يوجد بيننا أى غش أو رياء · لأنه حيث توفرت الصداقة امتنع كل شيء من هذا القبيل · وهذا أيضا ما قاله لنا رجل حكيم آخر · « اذا أشهرت سيفا على صديقك فلا تيأس منه ، لأن المحبة قد تعود اليكما · اذا فتحت فمك على صديقك فلا تخف ، لأنه قد يوجد المجال للمصالحة · الا التعيير ، أو كشف الاسرار ، أو الجروح التى ترتكب بغدر · فمن هذه يفر كل صديق » حكمة يشوع بن سيراخ ٢٢ : ٢١ و ٢٢) ·

أما عن كشف الاسرار ، فاننا ان كنا كلنا أصدقاء لما وجدت هنالك أسرار · فكما انه لا يوجد أى سر بين الانسان وبين نفسه ، ولا يمكن أن يخفى عن نفسه أى شيء ، كذلك أيضا لا يمكن أن يخفى عن أصدقائه اى شيء · واذا ما انعدمت الاسرار انعدمت الانقسامات · ونحن لن توجد بيننا الاسرار الا لانعدام ثقتنا بكل الناس · اذن فبرودة المحبة هى التى خلقت الاسرار ·

فلماذا توجد لديك أسرار ؟ هل تريد الاساءة الى أخيك ؟ أم هل تمنعه من أن يشاركك فى أى خير ، ولاجل هذا تخبىء عنه الأمور ؟ وربما يكون لا هذا ولا ذاك · فما الذى تخجل منه ؟ ان كان هذا هو الحال فهذه علامة على انعدام الثقة · وان توفرت المحبة انعدم كشف الاسرار ، وانعدم كل تعيير أو توبيخ · لأنه من ذا الذى يعير نفسه ؟ وان حدث أن وجد المجال للتوبيخ فانه انما يحدث ابتغاء الخير · فنحن نعرف باننا عندما نوبخ أولادنا فذلك لكى نشعرهم باخطائهم · والمسيح أيضا لهذا السبب وبخ بعض المدن قائلا « ويل لك يا كورزين ، ويل لك يا بيت صيدا » (لو ١٠ : ١٣) ، وذلك لكى يعفيهم من التوبيخات · لأنه ليس لأحد السلطان على الضمير ، أو على ايقاظه ، أو تشديده عندما يتراخى ·

اذن فينبغى أن لا نلجأ قط للتوبيخ لمجرد التوبيخ · هل توبخ صديقك بسبب اقتنائه المال ؟ يقينا انك لن توبخه اذا اقتسمت معه ما يملك · أتوبخه من أجل أخطائه ؟ كلا ، لكنك بالحرى فى هذه الحالة تقومه · هل توبخه من أجل الجروح التى ترتكب بغدر ؟ ومن ذا الذى يقتل نفسه فى هذا العالم ، أو يجرح نفسه ؟ لا يوجد أحد ·

اذن فلنتبع المحبة · وهو لم يقل : لنحب بعضنا بعضا ، بل قال لنتبع المحبة (١ كو ١٤ : ١) · نحن نحتاج الى الاجتهاد الكثير · فالمحبة تختفى

سريعا عن الانظار ، وهى سريعة فى هروبها · وهنالك أشياء كثيرة فى هذه الحيـاة تؤذيها · واذا ما اتبعنـاها فانها لا تهرب منا ، لكننـا سرعان ما نستردها ·

ان محبة الله هى التى أتحدت الأرض بالسماء ، ومحبة الله هى التى أجلست الانسان على العرش الملكى · ومحبة الله هى التى أظهرت الله على الأرض · ومحبة الله هى التى جعلت الرب عبـدا · ومحبـة الله هى التى جعلت الحبيب يبذل نفسه من أجل أعدائه ، وجعلت الابن يبذل نفسه من أجل من أبغضوه ، وجعلت الرب يبذل نفسه من أجل عبيده ، وجعلت الله يبذل نفسه من أجل البشر ، والحر من أجل العبيد ·

وهى لم تقف عند هذا الحد ، بل دعتنا لما هو أعظم · نعم انهـا لم تحررنا فقط من شرورنا السابقة ، لكنها فوق هذا وعدتنـا بان تمنحنا بركات أوفر ·

فلنشكر الله اذن من أجل هذه الأمور ، ولنتبع كل فضيلة · وقبـل كل شىء لنمارس المحبة بكل تدقيق لكى نستحق أن ننـال البركات التى وعدنا بها ، بنعمة ورأفة ربنـا يسوع المسـيح ، الذى يليق له مع الآب والروح القدس ، المجد والقوة والكرامة ، من الآن والى الأبد ، أمين ؟

العظة العاشرة

(أف ٤ : ٤)

« جسد واحد ، وروح واحد ، كما دعيتم أيضـــا فى رجاء دعوتكم الواحد »

عندما يقدم لنا المغبوط بولس الرسول نصيحة ذات أهمية خاصة ، وقد كان بالحق حكيما وروحيا ، فانه كان يؤسس نصيحته على أشــياء فى السماء وقد تعلم هذا الدرس من الرب • لهذا قال أيضا فى مكان آخر : « اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا » (أف ٥ : ٢) • وأيضـــا « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا ، الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله » (فى ٢ : ٥ و ٦) • وهذا ما فعله هنا أيضا ، لأنه عندما تكون الأمثلة التى يقدمها لنا عظيمة فان غيرته وعواطفه تزداد التهابا • فمــاذا يقول لنـــا الآن اذ يحثنا على الوحدة ؟ « جسد واحد ، وروح واحد ، كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد » •

ع ٥. « رب واحد ، ايمان واحد ، معمودية واحدة »

وما هو هذا الجسد الواحد ؟ هو المؤمنون فى كل العالم ، الكائنون الآن ، والذين كانوا ، والذين سوف يكونون • وأيضا الذين أرضوا الله قبل مجيء المسيح هم « جسد واحد » • كيف يكون هذا ؟ لأنهم هم أيضا عرفوا المسيح • من أين يظهر هذا ؟ لقد قال المسيح : « أبوكم ابراهيم تهلل بان يرى يومى ، فرأى وفرح » (يو ٨ : ٥٦) • وأيضا قال : « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى ، لأنه هو كتب عنى » (يو ٥ : ٤٦) • ولم يكن ممكنا أن يكتب الانبياء عن شخص لم يعرفوا ما قالوه عنه ، مع انهم عرفوه وعبدوه • وهكذا كانوا هم أيضا جسدا واحدا •

ليس الجسد منفصلا عن الروح ، والا لما صـــار جسدا • هكذا جرت العادة معنا نحن أيضا من جهة الاشياء المتحدة المتجانسة والمتلاصـــقة أن نقول عنها انها جسد واحد • وأيضا من جهة الاتحاد نقول ان ما يقع تحت رأس واحدة هو جسد • وان كانت هنالك رأس واحـــدة ، فهنالك جسد واحد • والجسد مكون من أعضاء ، مكرمة وغير مكرمة • والعضـــو الاعظم يجب أن لا يتشامخ على الاحقر ، وهـــذا الأخير يجب أن لا يحسد الآخر • صحيح ان كل عضو لا يمد الجسم بنفس المقدار الذى يمده به غيره ، لكن كل واحد يقدم نصيبه حسبما تدعو الحاجة • ونظرا لأن كل الاعضـــاء

خلقت لأغراض ضرورية مختلفة ، فكل عضو ينال كرامة مساوية لباقي الاعضاء ٠

هنالك أعضاء أكثر لزوما للجسد وأكثر أهمية ، والاعضاء الاخرى اقل أهمية ٠ فالرأس مثلا عضو رئيسى فوق سائر أعضاء الجسد ، لأنها تحوى كل الحواس ، وكل العناصر التى تتحكم فى النفس ٠ ومن المستحيل أن يعيش المرء بدون رأس ، مع أن هنالك أشخاصا كثيرين يعيشون زمنا طويلا وقد قطعت أرجلهم ٠ لذلك فالرأس أفضل من باقى الاعضاء ، ليس فقط فى وضعها ، بل أيضا بسبب نشاطها الحيوى ، وبسبب وظيفتها ٠

ولماذا أقول هذا ؟ هنالك أشخاص كثيرون فى الكنيسة ٠ هنالك من ترتفع شخصيتهم كالرأس ٠ وهنالك من يشبهون العينين اللتين فى الرأس ، فيتطلعون الى السماويات ، ويقفون بعيدا جدا عن الأرض ، وليست لهم صلة بها ٠ وهنالك من يشبهون الأرجل ، ويطأون على الأرض ، وأقصد الأرجل السليمة ، لأن السير على الأرض لا يعتبر عيبا فى الارجل ، لكن العيب هو أن يركض المرء للشر ٠ قال النبى : « أرجلهم الى الشر تجرى » (اش ٥٩ : ٧) ٠ فعلى الرأس أن لا تتشامخ على الأرجل ، كما يجب على الأرجل أن لا تنظر بعين شريرة الى الرأس ٠ والا تشوه جمال كل عضو ، وتعطل كمال كل عضو ٠

وطبيعى ان من ينصب الفخاخ لاخيه انما ينصبها لنفسه أولا ٠ وان رفضت الرجلان أن تحملا الرأس بعيدا عن مقصدها فانهما فى نفس الوقت يؤذيان نفسيهما بتكاسلهما وبعدم الحركة ٠ وأيضا اذا رفضت الرأس العناية بالرجلين ، أصابها الاذى هى أولا ٠ وعلى أى حال ان تلك الاعضاء لا يقاوم أحدها الآخر ٠ هذا لا يمكن ان يحدث ، لان تكوينها الطبيعى يمنعها من أن يقاوم أى عضو الاعضاء الاخرى ٠

أما مع البشر ، فكيف يمكن للانسان أن لا يقاوم الآخر ؟ نحن نعلم أنه لا يمكن أن يوجد انسان يقاوم الملائكة ، كما ان الملائكة لا تقاوم رؤساء الملائكة ٠ ومن الناحية الاخرى لا يمكن أن تتشامخ المخلوقات غير العاقلة علينا ٠ لكن حيث تساوى الجميع فى الكرامة ، وفى المواهب ، وحيث لم يعط للواحد أكثر من غيره ، فكيف يمكن منع هذا التشامخ ؟

ويقيننا ان هذه هى نفس الأسباب التى تدفعك بان لا تتشامخ على أخيك ٠ لأنه ان كانت كل الأشياء مشتركة ، ولم يعط للواحد أكثر من غيره ، فمن أين تأتى هذه الحماقة ؟ فكلنا نشترك فى نفس الطبيعة ، ونشترك بالتساوى فى النفس والجسد ، ونستنشق نفس الهواء ، ونأكل نفس

الطعام • فمن أين جاء هذا التمرد وتشامخ الواحد على الآخر ؟ والواقع ان كون الانسان قادر على الانتصار على القوات غير الجسدية فان هـذا يكفى ليبعث فيه الانتفاخ والكبرياء • والاحرى أن تنعدم خطية الكبرياء ، فهنالك مبرر قوى لكونى واسع الفكر ذلك لكى استخدمه ضد الروح الشرير • هوذا بولس نفسه كان واسع الفكر ضد الروح الشرير • لأنه عندما كان الروح الشرير يمتدحه أبكمه فى الحال ، ولم يحتمله حتى وان كان قد تملقه • فانه عندما صرخت الجارية التى بها « روح عرافة » قائلة « هؤلاء الناس هم عبيد الله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص » (أع ١٦ : ١٦ و ١٧) وبخ الروح الشرير بعنف ، وأبكم لسانه الوقح • وفى مكان آخر كتب قائلا « اله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعا » (رو ١٦ : ٢٠) •

هل للاختلاف فى الطبيعة أى تأثير ؟ ألست تدرك انه ليس للاختلاف فى الطبيعة أى تأثير قط ، بل للاختلاف فى المقاصد فقط ؟

لكن قد يقول قائل : أنا لا أقاوم ملاكا لأن هنالك فرقا شاسعا جدا بين طبيعتى وطبيعته • وان كنت لا تقاوم ملاكا فيقينا انك ينبغى أن لا تقاوم انسانا ، فالملاك يختلف عنك فى الطبيعة ، الأمر الذى لا يشرف الملاك ، يحقرك ، بينما يختلف الانسان عن الانسان ليس قط فى الطبيعة ، بل فى المبادىء • وهنالك — حتى بين البشر — من يماثلون الملائكة •

ولذلك ان كنت لا تقاوم الملائكة فبالأولى يجب أن لا تقاوم البشر ، سيما الذين قد تشبهوا بالملائكة • وان وجد بين البشر من قد تحلى بالفضيلة كملاك ، فهذا الانسان أسمى منك ، بل يفوق الملائكة سموا عنك • ولماذا ؟ لان ما يمتلكه الملاك بالطبيعة امتلكه ذلك الانسان باجتهاده • وأيضا لان بيت (وطن) الملاك بعيد جدا عن بيتك (وطنك) ، فهو يسكن السماء ، أما هذا الانسان فهو يعيش معك ، ويوحى اليك بالتمثل به • والواقع انه يعيش بعيدا جدا عنك ، أبعد من بعد الملاك عنك • فالرسول يقول : « فان سيرتنا (١) نحن هى فى السماوات » (فى ٣ : ٢٠) • ولكى يبين لك أن بيت (وطن) هذا الانسان بعيد جدا اذكر أين يجلس رأسه • لقد قال انه جالس على العرش الملكى • وبقدر ما يبتعد عنا هـذا العرش الملكى • وبقدر ما يبتعد عنا هذا العرش بقدر ما يبتعد هو •

لكنك قد تقول : هذا حسن ، لكننى أراه متمتعا بالمجد ، وهذا يبعث فى روح الغيرة والحسد • هذا هو نفس الأمر الذى قلب كل الأوضاع

---

(١) « موطننا » حسب ترجمة اليسوعيين المنقحة ، والترجمة الانكليزية •

رأسا على عقب ، وملأ ، لا العـالم فقط ، بالمتـاعب التى لا تحصى ، بل الكنيسة أيضـا • وكما ان العواصف العـاتية ان هبت على ميناء هادئة عرضتها للاخطار أكثر من أخطار الصخور ، أو أكثر من اخطار البوغـاز الضيق ، هكذا ان دخلت شهوة المجد قلبت أوضاع كل شيء •

لعلك شاهدت منازل كبيرة تشتعل فيها النيران ، ورأيت الدخـان يرتفع نحو السماء • وان لم يتقدم أحد ليوقف هذه المصيبة ، بل ظل كل واحد يتطلع الى نفسه ازدادت النيران اشتعالا وانتشـارا والتهمت كل شيء • وكثيرا ما وقف كل سكان المدينة حول النار كمتفرجين على الشر ، دون أن يقدموا يد المساعدة • هنـاك تراهم كلهم واقفين حول النـار ، لا يحركون ساكنا ، بل يمد كل واحد رأسه ليرى شعلة من النار ملتهبة تخرج من النافذة فى تلك اللحظة ، أو قطعا من الخشب تتطاير ، أو حائطا يسقط بعنف على الأرض •

وقد تشتد الجرأة أيضا بالكثيرين ، وتبلغ بهم الوقاحة درجة شنيعة بحيث يقتربون من المبـانى نفسها أثناء اشـتعالها ، لا ليقدموا لها يد المساعدة ، ويضعوا حـدا للنكبة ، بل لكى يتمتعوا بالمنظر ، اذ يرون عن قرب ما كانوا يعجزون عن أن يروه بوضوح لما كانوا بعيدين • واذا كان البيت كبيرا وضخما بدا لهم مستحقا الرثاء ، والدموع الكثيرة • والواقع انه منظر يسـتحق الرثاء اذ نرى تيجان أعمدة فخمة تهوى الى التراب ، والاعمدة نفسها الكثيرة تتحطم ، والنيران تلتهم بعضـها ، وتحطم البعض الآخر نفس الايدى التى شيدتها ، لكى لا تزيد النيران اشـتعالا ، وترى التماثيل الجميلة قد تطايرت فى الهواء وحل بها الدمار •

وهل يحتـاج الأمر للحـديث عن الثروة التى كانت مختزنة داخل المنزل : الأقمشة المزركشة بالذهب ، والاوانى الفضـية ؟ بيت العطور ، وخزائن الجواهر والحلى • وأما كل الذين كانوا بالداخل : رب البيت ، وكل أفراد الاسرة ، والعبيد ، فقد صاروا رمادا •

ولماذا صورت لك صورة كاملة كهذه ؟ ليس لمجرد رغبتى بان أصور لك بيتا يحترق (فهذا أمر لا أبالى به) ، بل لأننى أريد أن اصـور امام عينيك ــ بقد ما أستطيع من الوضوح ــ مصائب الكنيسة • لأنها قد هبطت على سقف الكنيسة كنيران مشتعلة ، أو كصاعقة هوت من فوق ، ومع ذلك لم يتحرك أى واحد • ومع أن بيت أبينا يحترق فنحن نيام نوما عميقـا بغبـاوة •

ومن ذا الذى لم تمسه هذه النيران ؟ فالكنيسة ليست الا بيتا بنى من

نفوسنا نحن البشر • وهذا البيت ليس فى كرامة واحدة بالتساوى ، بل من هذه الاحجار ، المشيد البيت منها ، توجد أحجار لامعة ، ويوجد غيرها ما هو أصغر ومعتم ، ومع ذلك فان هذه الأحجار الصغيرة المعتمة أفضل من غيرها •

هنالك نجد أيضا الكثيرين كالذهب ، الذهب الذى يزين السقف • هناك أيضا نجد غيرهم ممن يضفون جمالا على الكنيسة كجمال التماثيل • ثم نجد الكثيرين واقفين كالأعمدة ، فالرسول تعود أن يدعو البشر أعمدة (غل ٢ : ٩) ، ليس فقط بسبب قوتهم ، بل أيضا بسبب جمالهم ، اذ يزيدون الكنيسة جمالا ، ورؤوسهم مغشاة بالذهب •

ويمكن أن نرى جماهير كثيرة يكونون الساحة المتوسطة الفسيحة ، وكل محيط الدائرة • لأن كل جسم الكنيسة يشغل مكان تلك الأحجار التى شيدت منها الجدران الخارجية • أو بالحرى ينبغى أن نتقدم الى صورة أكمل •

هذه الكنيسة ، التى أتحدث عنها ، لم تشيد من هذه الحجارة ، كالتى نراها حولنا ، بل من ذهب ، وفضة ، ومن حجارة كريمة • وهنالك كمية كبيرة من الذهب متناثرة فى كل مكان •

ويا للدموع الغزيرة التى يستدعيها هذا الحال • لأن كل هذه الأشياء قد التهمتها نيران النفخة الكاذبة ، تلك النيران المتأججة التى لم يقترب منها أحد الى الان • ونحن نقف متطلعين فى دهشة الى لهب النار ، عاجزين عن اطفاء الشر ، وان أطفأناه لفترة قصيرة اشتعل بعد يومين أو ثلاثة اذ تتطاير شرارة من كومة الرماد ، وتلتهم النيران ما لا يقل عما سبق أن التهمته • هكذا هو الحال هنا • وهذا هو مايحدث عادة فى حريق كهذا •

أما عن السبب ، فان النار قد التهمت دعامات أعمدة الكنيسة • لأن النار التهمت البعض منا الذين كانوا يدعمون سقف الكنيسة ، والذين كانوا يدعمون كل مبنى الكنيسة • وقد امتدت النار أيضا الى باقى الجدران الخارجية • وهذا ما يحدث فى المبانى ، فانه عندما تصل النار الى العروق الخشبية تكون العروق فى أمان لحد ما لأن الحجارة تحميها • لكن عندما تسقط الأعمدة ، وتصير فى مستوى الأرض ، لا يبقى شىء تلتهمه النار ، اذ يصبح الكل مشتعلا • لأنه اذا سقطت دعامات الاجزاء العلوية سقطت وراءها سريعا هذه الاجزاء العلوية •

وهذا ما يحدث أيضا فى هذه اللحظة فى الكنيسة • فالنار قد وصلت الى كل جزء • اذ نحن نطلب المجد الذى يأتى من الناس ، دون أن نصغى الى ما قاله أيوب : (اى ٣١ : ٣٣ و ٣٤) •

« ان كنت قد كتمت ـ كالناس ـ ذنبى
لاخفاء اثمى فى حضنى
اذ رهبت جمهورا غفيرا »

هذه روح فاضلة · فقد قال النبى : اننى لم أخجل من الاعتراف أمام الجمهور الغفير بخطاياى اللاارادية · وان كان هو لم يخجل فالاحرى بنا نحن أن لا نخجل · لأن اشعياء النبى يقول « ابسط قضيتك لعلك تتبرر » (اش ٤٣ : ٢٦) · شنيعة هى قوة هذا الشر ، فقد دمر كل شيء ولاشاه · لقد تركنا الرب وهجرناه ، وأصبحنا عبيدا لشهوة الكرامة · لم نعد قادرين بعد على توبيخ من هم تحت رئاستنا ، لأن نفس المرض قد أصابنا مثلهم · نحن الذين أقامنا الله لشفاء الآخرين أصبحنا نحن أنفسنا فى حاجة الى الطبيب · وأى أمل فى الشفاء قد بقى ان كان الاطباء أنفسهم محتاجين الى يد الآخرين الشافية ؟

اننى لم أذكر هذا بدون هدف ، ولم أبك بدون غرض ، لكن لكى نقوم كلنا ، بنسائنا وأولادنا ، ونفترش الرماد ، ونمنطق أنفسنا بالمسوح ، ونعلن صوما طويلا ، ونتضرع الى الله نفسه بان يمد يده الينا ، ويوقف الخطر ، لأن الحاجة ملحة الى يده ، تلك اليد المقتدرة العجيبة · انه مطلوب منا أكثر مما طلب من أهل نينوى · قال النبى : « بعد ثلاثة أيام (٢) تنقلب المدينة » (ليونان ٣ : ٤) · هذه رسالة مزعجة ، تحمل تهديدا مروعا · وكيف كان ممكنا أن يحدث غير هذا ؟ هل هنالك أشد ازعاجا من أن يتوقع الجميع أن تكون المدينة قبرا لهم بعد ثلاثة أيام ، وأن يهلك الجميع بضربة واحدة ؟ لأنه ان حدث بان ابنين ماتا فى وقت واحد فى بيت واحد ، أصبحت هذه كارثة لا تحتمل · وان كانت أشد النكبات التى حلت بايوب أن يسمع بان سقف البيت سقط على جميع بنيه وبناته ، فقتل الجميع ، فماذا يكون الحال أن لا يسقط بيت واحد فقط ، ولا يهلك ابنان فقط ، بل تدفن تحت الانقاض أمة برمتها مكونة من مائة وعشرين ألفا ·

أنتم تعلمون مقدار شناعة هذه النكبة · فهذا الانذار قد وجه الينا أخيرا ، لا على فم نبى ، فنحن لا نستحق أن نسمع صوت نبى ، لكن التحذير جاءنا من فوق مدويا ، وبكيفية أكثر وضوحا من أى بوق (٣) ·

---

(٢) حسب الترجمة السبعينية ، « أربعين يوما » حسب الترجمات الاخرى ·
(٣) تعرضت أنطاكية للزلازل · فقد حدث زلزال سنة ٣٩٥ م ، ولعله حدث وقت تاريخ كتابة هذه العظات · وفى سنة ٤٥٨ م دمرت تداميرا كاملا تقريبا ·

وعلى أى حال فقد قال النبى : « بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى » . هذا فى الواقع انذار مزعج . أما الآن فليس أمامنا شئ كهذا . ليست هنالك ثلاثة أيام ، وليست هنالك نينوى لكى تنقلب لكن قد مرت أيام كثيرة منذ انقلبت الكنيسة فى كل أرجاء العالم ، وأذلت حتى التراب ، وغمر الشر الجميع بالتساوى . والاكثر من هذا أن الضغط اشتد على شاغلى المراكز الرفيعة .

فلا تتعجبوا اذن ان قدمت لكم النصيحة بان تقوموا باعمال أعظم مما قام به أهل نينوى . ولماذا ؟ نعم أعظم ، وأنا الآن لا انادى فقط بصوم ، لكننى أقترح العلاج الذى أنقذ تلك المدينة ، عندما كانت مشرفة على الهلاك .

وما هو هذا العلاج ؟ قال النبى : « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣ : ١٠) .

فلنعمل هذا ، نحن وأنتم . لنتجنب شهوة الغنى ، وشهوة المجد ، ولنتوسل الى الله لكى يمد يده ، ويرفع الساقطين الذين بيننا : نحن نحسن صنعا ان فعلنا هذا ، لأن الباعث على خوفنا ليس مثل ما بعثهم على الخوف . ففى حالتهم لم يتحطم سوى الاحجار والاخشاب ، والاجساد التى تهلك . أما الان فلا يخشى على شئ من هذه ، بل على النفوس التى تكاد تسلم لجهنم النار .

فلنتضرع اليه ، ولنعترف له ، ولنشكره من أجل ما مضى ، ولنتوسل اليه من أجل ما هو آت ، لكى نحسب أهلا للنجاة من هذا الوحش الكاسر المروع ، ولنرفع تشكراتنا لله المحب والآب ، الذى يليق له مع الابن والروح القدس ، المجد والقوة والكرامة ، الآن والى دهر الداهرين . آمين ؟

محتويات الكتاب

مقدمة لجنة النشر ٥

مقدمة المعرب ٧

مقدمة الكتاب ١١

العظة الأولى ١٣

العظة الثانية ٢٣

العظة الثالثة ٣٢

العظة الرابعة ٤٥

العظة الخامسة ٥٥

العظة السادسة ٦٣

العظة السابعة ٧٣

العظة الثامنة ٨٣

العظة التاسعة ١٠٥

العظة العاشرة ١١٥

للمعرب أيضا

تفسير الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) .

تفسير رسائل رومية ـ فيلبى ـ تيموثاوس الأولى والثانية ـ بطرس الأولى ـ .

تفسير أسفار نحميا ـ أستير ـ أيوب ـ المزامير ـ الجامعة ـ نشيد الأنشاد ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عويديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجى ـ ملاخى .

حياة ابراهيم ـ يعقوب ـ يوسف ـ موسى ـ يشوع ـ صموئيل ـ داود ـ ايليا ـ ارميا ـ نبى الرجاء (زكريا) ـ يوحنا المعمدان ـ بطرس بولس المسيح فى اشعيا .

القراءات اليومية فى الأسفار الالهية (ثلاثة أجزاء) ـ تأملات هادئة فى سفر التكوين (أربعة أجزاء فى مجلد واحد) .

لأثناسيوس الرسولى : تجسد الكلمة ـ رسالة ضد الوثنيين ـ حياة أنطونيوس ـ رسائل عن الروح القدس ـ رسائل فصحية .

ليوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة ـ حياة قسطنطين .

لاوريجانوس : الرد على كلسوس .

اسرار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية باللغة الأنكليزية .

الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة ـ الصلاة الربانية ـ تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ـ قداسات الكنيسة الأثيوبية باللغتين الأنكليزية والعربية ـ أمثلة المسيح ـ حياة المسيح حسب انجيل مرقس ـ مزمور الراعى ـ اسرار الحياة المسيحية ـ مخدع الصلاة ـ اضواء على الحياة اليومية ـ الحياة المباركة ـ الرب قريب ـ حياة الذات ـ خمسة التزامات ـ سر الأرشاد ـ الصلاة المقتدرة ـ سر القوة ـ المحبة الفائقة المعرفة ـ الحياة الغالبة ـ المؤمن الساجد ـ المال ـ الزرع والحصاد ـ الطريق الى الله .

قائمة مطبوعات لجنة النشر والتأليف

- حياة الأنبا أنطونيوس – للقديس أثناسيوس – تعريب القمص مرقس داود (نفذ) .
- تأملات هادئه فى سفر التكوين للقمص مرقس داود (جزء أول) (نفذ) .
- تأملات هادئه فى سفر التكوين للقمص مرقس داود (جزء ثانى) (نفذ) .
- تأملات هادئه فى سفر التكوين للقمص مرقس داود (جزء ثالث) ١٥ قرش .
- تأملات هادئه فى سفر التكوين للقمس مرقس داود (جزء رابع) ١٥ قرش .
- مجلد تأملات هادئه فى سفر التكوين (أربعة اجزاء) (نفذ) .
- رسائل أثناسيوس الرسولى – تعريب القمص مرقس داود (نفذ) .
- الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة – للقمص مرقس داود (نفذ) .
- اسرتنا فى ظلال المسيحية – للأستاذ سليمان نسيم (نفذ) .
- مدرسة الصلاة – للأرشيد ياكون عياد عياد (نفذ) .
- فى ذكرى شهداء المسيحية – لنيافة الأنبا يؤانس (نفذ) .
- أضواء من عالم المجد للدكتور عزت زكى (١٢ قرش) .
- المسيحية والمجتمع – للدكتور موريس تاوضروس (نفذ)
- طقس الصوم الكبير وأسبوع الآلام (نفذ) .
- الروح القدس للقديس امبرسيوس – تعريب القس موسى وهبه (نفذ) .
- الخادم الأمين (نفذ)
- رحلة الى قلوبهم – للأستاذ سليمان نسيم (نفذ) .
- حديقة الحقيقة – لنيافة الأنبا تموثاوس (٢٥ قرشا) .
- الصلاة لاوريجينوس – تعريب القس موسى وهبه (٣٠ قرش) .
- طقس أسبوع الآلام (١٥ قرش) .

- الله والأسرة تعريب الأستاذ نجيب غالى (٢٠ قرش) ٠
- المجوس فى القرن العشرين (٢٠ مليم) ٠
- الطفل الذى كان الجبار يحبه (٢٥ مليم) ٠
- للخطاه فقط للدكتور عزت زكى (نفذ) ٠
- أقوال الشيخ الروحانى للقمص يفنوثيوس السريانى (نفذ) ٠
- أقوال القديس برصنوثيوس للقمص سمعان السريانى (٣٠ قرشا) ٠

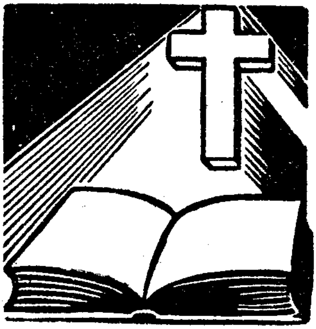

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/٢٨٤٧

مطبعة دار العالم العربى

٢٣ شارع الظاهر بالقاهرة ــ تليفون : ٩٠٦٧٠٦

كنيسة مار مرقس بشبرا
لجنة النشر

جمعية أصدقاء الكتاب المقدس القبطية الأرثوذكسية

تحت الطبع

١ ـ حياة يوسف ـ للقمص مرقس داود

٢ ـ مرشد الخادم ـ أ • لبيب يونان

٣ ـ بلوك نوت مار مرقس

قصص دينية
ألحان كنسية
صور..

كتب دينية
تسجيلات دينية
هدايا